شغف التعلم

سر النجاح

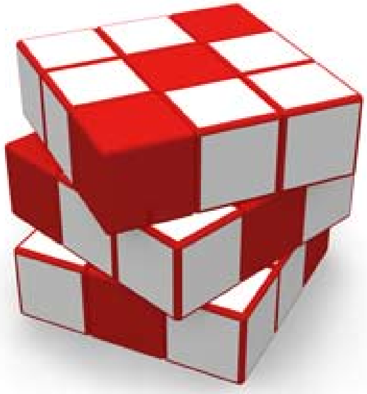

كيف تتعلم ما يفيدك..

وتستفيد مما تتعلم..

عمر بن سليمان العريفي

شغف التعلم

سر النجاح

عمر بن سليمان العريفي

ح عمر سليمان العريفي، ١٤٣١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العريفي، عمر سليمان
شغف التعلم سر النجاح / عمر سليمان العريفي - جدة، ١٤٣١هـ
١٢٠ ص، ٢١سم
ردمك ٩-٦٣١٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- التعليم الذاتي ٢- الثقافةأ. العنوان
ديوي ٣٠١,٢١ ١٤٣١/٩٢٩١

رقم الإيداع: ١٤٣١/٩٢٩١
ردمك: ٩-٦٣١٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب؛ أو نقله في أي شكل أو وسيلة، سواء كانت إليكترونية أو يدوية أو ميكانيكية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو التخزين أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف بذلك

كيف تتعلم ما يفيدك ..
وتستفيد مما تتعلم..

عمر بن سليمان العريفي

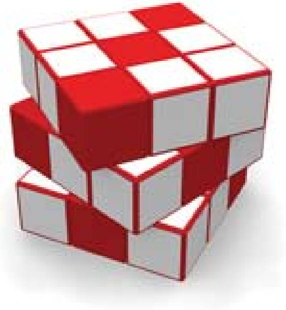

المقدمة

شغف التعلم .. سر النجاح

يبدأ الإنسان حياته بصرخةٍ مدويةٍ تُعلن وصوله المبهج لهذه الدنيا، صرخةٌ تُفرح أمَّه التي وهنت تحمله، وبرأت لرؤيته؛ وتُبهج أباه الذي ضاق كدراً ينتظر قدومه؛ صرخةٌ تُعلن بدء ملحمةٍ جديدةٍ خصبةٍ بالأحداث والأفراح والأحزان، والنجاح والفشل؛ صرخةٌ تُعلن للأرض وصول ملكٍ يحكمها، أو نبوغ عالمٍ يعمرها، أو ظهور مجرمٍ يدمّرها؛ صرخةٌ ربما تعني الكثير لهذه الدنيا؛ ولكن الوليد الذي أطلقها لا يعرف معناها، ولا يدرك فحواها، ولا يقصد من ورائها شيئاً؛ لأنه ببساطة لا يعرف شيئاً، فقد وُلد ضعيفاً عاجزاً جاهلاً محدود المعارف والإمكانيات، لا يعرف للدنيا معنىً ولا يتقن للعيش فنّاً إلا ما فطره الله عليه.

ولكن سرعان ما تدبُّ الحياة في عقله الشغوف بالتعلم، وروحه السريعة التأقلم، ليبدأ رحلة النمو والتطور وكسب المعارف والمهارات، فيتعلم النطق والحبو، ثم الكلام والمشي، ويكبر، ويستمر تعلُّمه ليطوِّر عقله، ويبني شخصيته، ويشكل حياته، ويحدد خياراته، ومن ثم يحقق نجاحاته؛ فهو يتعلم ويتطور باستمرار منذ ولادته حتى مماته، ولولا شغفه بالتعلم لبقي جهل طفولته معه، وما وصل إلى شيء.

إن شغف التعلم أمر فطري يبدأ به كافة البشر حياتهم ليتجاوزوا به جهل الطفولة وعجزها، ثم يزداد هذا الشغف عند البعض ويضعُف عند آخرين، فمن زاد شغفه بالتعلم طوّر عقله، وحدد أهدافه، وتجاوز نقاط ضعفه، ودعّم مراكز قوته، وأكمل مسيرة نجاحه.

ومن ضعُف شغفه بالتعلم أوقف تعلمه، وأنهى تطوّره، وقتل فرص نجاحه، واكتفى بالكسل، ورضي بالفشل.

يقدّم هذا الكتاب مفهوم شغف التعلم الفعّال، ويعرض بعض الأفكار والمفاهيم والمهارات التي تساعد الإنسان على أن يتعلم

ما يفيده ويستفيد مما يتعلم، فهذا الكتاب محاولةٌ بسيطةٌ لتعزيز ثقافة القارئ، ودعم قصة نجاحه عبر بيان من الأفكار ما هو أساسيٌ مشهور، ومن الأسرار ما هو متقدِّمٌ نادر؛ ليناسب المبتدئين والمتقدمين في سُلّم الثقافة والتعلم والنجاح على حد سواء، فيجد فيه الناشئة والمبتدئين ما يساعدهم على بناء ثقافتهم، ودعم مسيرة نجاحهم، ويساعد المثقفين والمتقدمين ليراجعوا أفكارهم، ويطوّروا حياتهم، ويزيدوا شغفهم بالتعَلم.

قراءة ممتعة ومفيدة أتمنّاها لكم..

عمر بن سليمان العريفي

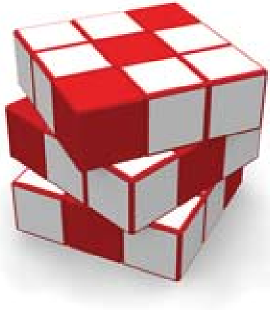

الفصل الأول
الحياة والتعلم

"كلما ازددت علما.. ازددت علما بجهلي"

رزق الله الإنسان عقلاً قادراً على التعلم؛ ميّزه عن باقي المخلوقات، ومكّنه من كسب المعارف التي تزخر بها الحياة وتطوير المهارات التي تتطلبها. ولولا أن منَّ الله على الإنسان بهذه النعمة التي مكنته من التعلم والتطور لربما انتهت حياته، وانقرض جنسه كما حدث لغيره من المخلوقات نتيجة الصراعات أو الأمراض أو الكوارث، ولكنه تعلم من قوانين الطبيعة، وكشف من أسرارها، وحَلَّ من ألغازها، فتأقلم معها، وسخّرها لخدمته ليحافظ على حياته ويطوّرها. فعملية التعلم هي في الواقع محاولة لفهم قوانين الحياة لغرض تحسين عيش الإنسان.

الإنسان والتعلم

بدأت العلاقة التاريخية بين الإنسان والتعلم منذ أن وطأت رجله سطح الأرض، حين كان يعيش بشكل بدائي جداً بسبب محدودية خبرته في الحياة، وبساطة ما يعرفه عنها؛ فبعد أن كان يعيش في العراء، ويأكل مما يجد على سطح الأرض، تعلم الزراعة واستئناس الحيوان وبناء البيوت، وزاد تعلمه فاكتشف النار، واخترع الأدوات، وطوّر اللغات، وامتد تعلمه عبر الأجيال حتى وصل إلى عصرنا الحاضر بما فيه من اكتشافات متطوّرة، وعلوم متقدّمة، واختراعات باهرة.

وقد قام الإنسان بتنظيم عملية التعلم فأسّس المدارس، وأقام الأبحاث، وقسّم العلوم بمختلف تخصصاتها، كعلم النفس والاجتماع والطب والفيزياء؛ ليبذل مجهودات مركّزة لاستكشافها ومعرفة قوانينها وتوقع أحداثها؛ وبالتالي يتكيّف معها ويسخّرها لخدمته؛ فما الطب

إلا محاولة لفهم تعقيد جسم الإنسان ومعرفة ما يُمرضه، وما يشفيه؛ وما الفيزياء إلا محاولة لفهم قوانين الطبيعة الحركية والكهربية وتأثيراتها؛ وما علم الاجتماع إلا محاولة لفهم طريقة تفكير البشر ودوافع سلوكهم. وليس هناك علم إلا تجده يسعى لفهم جانب من جوانب الحياة، ومعرفة قوانينه التي خلقها الله سبحانه وتعالى.

فاكتشافات ونظريات تلك العلوم لا تأتي بجديد على الكون، ولكنّها جديدة على علم الإنسان في الكون، فما هي إلا محاولات لمعرفة بعض ما صنعه الله من قوانين وأسرار خفيت على الإنسان. فالجاذبية الأرضية موجودة في الطبيعة سواءً اكتشفها نيوتن أم لم يفعل، وكذلك النّار والزّيت والكهرباء والأمراض والأدوية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسند الإمام أحمد: «ما أنزل الله عزّ وجلّ داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله»، فالداء موجود، والدواء أيضاً موجود، حتى وإن لم يكتشفه الإنسان، فاكتشاف الإنسان لقوانين الحياة هو غاية ما تسعى إليه تلك العلوم.

ومهما بلغ تطوّر علم الإنسان وتقدّم اكتشافاته وعمق نظرياته فإنه لن يصل إلى درجة الكمال المطلق في فهم الحياة أبداً. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥.

فتجد الكثير من النظريات التي توصل إليها الإنسان لا تصل صحتها درجة الكمال أبداً، ولكنّها قد تكون أفضل نظرية تُوصّل إليها الإنسان في فهم الحياة، وأقرب ما استطاع أن يعرفه إلى الكمال. وقد تحدّث رئيس الوزراء البريطاني السابق وينستون تشرتشل في إحدى خطبه عن الديمقراطية، فقال: «إنّ الديمقراطية هي أسوأ طريقة للحكم، باستثناء كافّة الطرق الأخرى التي تمّت تجربتها»، ويريد أن يقول هنا أنّ الديمقراطية ليست أفضل طريقة للحكم بالضرورة، ولكنّها أفضل طريقة نعرفها؛ فالإنسان يبحث دوماً عن أفضل الطرق التي يستطيع الوصول إليها للتعامل مع الحياة، وليست بالضرورة الطريقة الكاملة. قال عباس العقاد: «نحن نقرأ لنبتعد عن نقطة الجهل، لا لنصل إلى نقطة العلم».

قال الشافعي رحمه الله: «كلما ازددتُ علماً، ازددت علماً بجهلي». فكلما زاد اطلاع الإنسان، وزادت خبراته في الحياة، وزاد علمه كلما اكتشف أن هناك المزيد من المساحات المظلمة التي لم يصل إليها علمه بعد، وأدرك أنّه لا يزال يتعلم ويبتعد عن نهاية العلوم، فكلما زاد علمه زاد إدراكه بجهله في هذه الحياة الضخمة المعقّدة. قال

الفيلسوف اليوناني سقراط: «الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أني لا أعرف شيئاً».

وهذا ينطبق على التقدّم العام للعلوم والعقل البشري على مدى التاريخ، فمنذ زمن بعيد، ولما كانت العلوم بدائيةً وبسيطةً، كانت التخصّصات محدودة.. أمّا في وقتنا الحاضر، ومع تقدّم العلوم، ازداد علمنا بجهلنا، واكتشفنا مساحات كبيرة لم يكن العقل البشري على اطلاع عليها، واحتجنا إضافتها كفروع مستقلة يتخصص فيها العلماء ليبحثوا فيها ويستكشفوها. وكلما زاد علمنا بها، زاد إدراكنا أن هناك مساحات جديدة أكبر تحتاج إلى استكشاف.

النجاح والتعلم

إن النجاح حلم مشترك بين كافة البشر، ولكن بعضهم فقط من يسعى إليه بجدية، والقليل منهم يحققه. وقد تساءل الإنسان عبر العصور عن طرق النجاح وأسرار الناجحين، وسعى جاهدًا إلى معرفة ما يميّزهم عن غيرهم ممن يضيعون بين الفشل والكسل والإحباط.

وإذا نظرنا إلى سير الناجحين، وأحوال المتميزين؛ لوجدنا من حقق النجاح بموهبة فطرية خارقة، ولرأينا من وصل إلى مراده بالجدّ والاجتهاد والإصرار والمثابرة، وآخرون تميّزوا بالتنظيم والترتيب والتخطيط، وغيرهم ساقته الظروف إلى النجاح سَوقاً، ونرى غير ذلك مما يؤكد لنا أنه لا يمكن حصر أسباب النجاح في ميزة واحدة، أو ممارسة محددة؛ فالنجاح ينتج –بتوفيق الله– عن خليط من الأسباب والمهارات والممارسات والفرص التي تختلف باختلاف الناس وإمكانياتهم وظروفهم.

ولكن السرّ المشترك بين الكثير من هؤلاء الناجحين هو شغفهم الكبير بالتعلم وحبهم المستمر لتطوير أنفسهم، وربما كان هذا أحد أهم أسرارهم لما يتصف به من القوة والمرونة، فهو يتيح للإنسان كسب كافة المعارف والمهارات التي يحتاجها ليحقق النجاح حسب ما يناسب ظروفه ويوافق شخصيته ويحقق طموحه. فالناجحون شَغوفون بالتعلم، حريصون على تطوير أنفسهم، مهتمون بمعالجة عيوبهم، جادّون في كسب المهارات التي تناسب أحوالهم، عازمون على تعلم ما يزيد فرصهم في تحقيق النجاح، فعقولهم مولعةٌ بتعلم المزيد، توّاقةٌ لمعرفة كل مفيد.

وقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس بقدرات متفاوتة وظروف مختلفة، فنجد من قُدّمت له أسباب النّجاح على طبق من ذهب، ونجد من حَفَر الصخر، وعبر الصعب ليصل إليه. ومهما كانت تلك الظروف التي تمر بك في حياتك، ومهما كانت إمكانياتك وحظوظك في الحياة فإنّ شغفكَ بالتعلم يوصلكَ إلى أفضل ما يمكنكَ الوصول إليه في ظلّ تلك الإمكانيات والظروف.

فالإنسان لا يستطيع أن يختار المهارات الفطرية والقدرات العقلية التي يُخلق بها، كما أنّه لا يستطيع أن يقرّر الظروف والأحداث الخارجة عن إرادته، ولكنّه بالتأكيد يستطيع محاولة زيادة معارفه، وتطوير مهاراته، واستثمار ظروفه ليسعى جاهداً لاستخراج أفضل ما لديه، ويدفع نفسه لتصل إلى أقصى ما يمكنها أن تصل إليه.

العقل والتعلم

اكتشفت الدكتورة كارول س. ديويك بعد عشرين سنة من الأبحاث والدراسات التي أجرتها حول عقل الإنسان وطريقة تفكيره؛ أنه يمكن تقسيم العقليات البشرية إلى نوعين: النوع الأول هو العقلية الجامدة fixed mindset والتي تعتقد بأن الإنسان يولد بقدرات محددة لا يمكن تطويرها. والنوع الثاني هو العقلية المتطوّرة growth mindset التي ترى أن الإنسان يولد بإمكانيّات معيّنة، ولكنّه يستطيع تطويرها بالتعلم والتدرّب والإصرار والمثابرة.

فأصحاب العقلية الجامدة يهتمون كثيراً بإثبات قدراتهم ومهاراتهم لأنفسهم والآخرين، فيريدون أن يُطمئنوا أنفسهم، ويثبتوا لغيرهم أنّهم خُلِقوا بقدرات مميزة، وذكاءٍ خارق، لأنهم يعتقدون بعدم إمكانية اكتسابهم لمهارات لم يُخلقوا بها، فيقيّمون أنفسهم والآخرين في كل تجربة نجاح أو فشل؛ لكي يصدروا أحكاماً على قدراتهم

الفطرية، فكل تجربة نجاح تثبت تميز مهاراتهم التي خُلقوا بها، وكل تجربة فشل تحبطهم، وتؤكّد لهم ضَعفهم الخِلْقي. وهم بذلك لا يعطون عملية التعلم أهمية كبيرة، كما أنهم يخجلون كثيراً من عيوبهم، ويحاولون إخفاءها؛ لأ نهم لا يؤمنون بإمكانية إصلاحها. فالفشل لدى هؤلاء صادمٌ مُحبط، فهو يكشف حقيقة ضعف إمكانياتهم التي لا مفرَّ منها كما يعتقدون.

أما أصحاب العقلية المتطورة فلا يحبطهم الفشل؛ لأن لديهم أمل مستمر في التطّور والتعلم وكسب المهارات والمعارف، فَهُم يرون أن قصص فشلهم عبارة عن عمليات تعلم ناجحة، بل إنهم أحياناً لا يدركون أنهم فشلوا؛ بسبب قوة إيمانهم بتعلمهم من تجاربهم الفاشلة، فتجدهم أكثر تواضعاً وثقةً بأنفسهم واستعداداً للتعلم والتطور. يقول عالم الاجتماع بنيامين باربر: «لا أقسّم العالم بالضعيف والقوى، ولا الناجح والفاشل، ولكن أقسّمهم بمن يتعلم ومن لا يتعلم».

فعند تلقّي نتائج الاختبارات الدراسيّة مثلاً نجد الطلاب أصحاب العقليّة الجامدة حريصون على معرفة نتائجهم، آملين أن تثبت أنهم أذكياء مميّزون، غير مهتمين بمعرفة الأسئلة التي أجابوا عليها

بشكل خاطئ، ولا بمعرفة الإجابات الصحيحة، فكل ما يهمّهم هو محاولة إثبات قدراتهم، وذكائهم. أما أصحاب العقليّة المتطوّرة، فمع رغبتهم في معرفة نتائج عملهم تجدهم حريصين على الاطلاع على أخطائهم، وكيفيّة تصحيحها، والاستفادة من تجاربهم.

ولا شك أن كافّة البشر يُولدون بمواهب ومهارات فطرية ذهنية، أو بدنيّة خاصّة تميزهم عن غيرهم، ولا شك أيضاً أن للموهبة الفطرية دور في تحقيق الإبداع والتميز والنجاح، إلا أن تلك المواهب الفطرية، والقدرات العقلية، والمهارات البدنية وحدها لا تكفي، فكم مِن موهبة ماتت في مهدها لأن صاحبها لم يطوّرها ويعتني بها، وكم من عبقريٍّ أهمل موهبته فلم يحقق من النجاح شيئا.

يقول الدكتور عبد الكريم بكّار: «كلما تضاءل حجم المعرفة المنظمة، والمتاحة للناس، برز دور الذكاء الفطري والإمكانات العقلية المتفوقة، وكلما تضخم القدر المتاح من المعرفة، تراجعت قيمة الذكاء في النجاح والتقدم». ففي العصر الحجري كانت المهارات الفطريّة مهمّة جداً بسبب عدم توفّر العلوم، فالذكي حينها هو مَن ابتكرَ بدءاً من نقطة الصفر؛ لأن الجميع كانوا متساوين في العلم والمعرفة، أما في

عصرنا الحاضر، فحجم المعرفة يتضاعف كل سنتين أو ثلاث سنوات، ومع تضخّم المعرفة المتاحة تقل أهمية المواهب الفطرية، وتقل أكثر كلما تطورّ العلم، بينما تزداد أهمية التعلم.

وهذا يتضح أيضاً لدى الأطفال، فبسبب بساطة تفكيرهم ومحدودية إمكانياتهم فإن حجم وعمق المعارف المكتسبة لديهم ضعيف وبسيط؛ وبالتالي فإن الطفل الذي يملك ذكاءً خارقاً ومهارةً فطريةً مميزةً يبرز سريعاً بين أقرانه؛ لأنهم جميعاً متساوون في المعرفة تقريباً؛ ولكن كلما كبر الطفل وتعلم هو وأقرانُه نقصت أهمية ذكائه لصالح معرفته وتعلمه.

وربما يبرز شخص آخر من الذين لم يُبرزهم ذكاؤهم في طفولتهم، فالموهبة الفطرية لا تكفي إلا للبداية فقط، ولا بد بعدها من التعلم.

إن التعلم الفعّال لا يتحقّق للمتكبر المغرور الذي يعتقد أنه وصل إلى قمّة العلم والحكمة والمهارة والرأي السديد؛ فيكتفي بأوهامه، ويسرح في أحلامه ليتوقف تعلمه، فينشغل بملاحظة تفوقه

على الآخرين، ويقارن نفسه بمن هم أقل منه في المواهب والمهارات ليبرّر عدم حاجته للتعلم.

ولكن المقارنة بين أشخاص مختلفين في الإمكانيات والظروف لا تُعتبر مقارنةً عادلةً، ولا تُعطي نتائجاً صحيحة، فمن الناس من يُولد بقدرات عالية، أو ظروف ممتازة، ومنهم مَن تكون قدراته أقل، وظروفه أسوأ، وليس من العدل أن يُقارَن بين أصحاب القدرات والظروف المختلفة، ولكن العدل أن يُقارن بين اثنين يحملان نفس الإمكانيات، ويعيشان نفس الظروف؛ ولا يوجد إنسانٌ يشبه إنساناً آخر تماماً في الظروف والقدرات؛ لذا فيجب أن يُقارِن الإنسانُ بينه وبين نفسه، أي أن يفترض الاحتمالين على نفسه فقط، والاحتمالان هما أن يتعلم ويتطوّر، أو أن يظل على ما هو عليه من غير تعلم ولا تطوّر، فأي الطريقين أفضل؟

ولو فرضنا أن رجلين يملك كلٌ واحد منهما مزرعة يزرع فيها ويقتات منها، أما الأول فذكي جداً، ولكنه لم يتعلم، فأخذ يزرع مزرعته وينظمها بذكاء، ولكن بشكل بدائي. أما الآخر فكان أقل ذكاءً من صاحبه، ولكنه كان شغوفاً بالتعلم؛ فدرس الهندسة الزراعية،

وتعلم طرق معالجة النباتات، والعناية بها، والاكتشافات الحديثة في الريّ، والتطعيم، والتسميد، وطبق ما تعلمه على مزرعته. فأيهما سيكون أفضل إنتاجاً، وأكثر نجاحاً؟

لا شك أنه من تعلم وتطوّر، وليس من امتلك القدر الأكبر من المهارات الفطرية والذكاء، ولكن لو دعّم صاحب الموهبة والذكاء عقله بالتعلم لحقق نجاحاً هائلاً، وإبداعاً مميّزاً وتفوّق على صاحبه.

الثقافة والتعلم

ينظر المجتمع إلى المثقَّف -غالباً- بعين الاحترام والإجلال والتقدير، وكثيرون هم مَن يسعَون إلى الانضمام إلى زمرة المثقفين، وكثيرون مَن يدّعون ذلك.

ولكن مَن هو المثقف؟

وكيف يميّزه الآخرون؟

وكيف يكون الإنسان مثقفاً بحق؟

أتحدث هنا عن الثقافة التي قد يستحق بها الإنسان وصف «مثقف» بناءً على ما يحتويه عقله من إمكانيات وأفكار ومعارف، وليس عن الثقافة التي هي بمعنى العادات والتقاليد والموروثات.

يشتهر بين العامّة أن المثقف هو مَن يعرف شيئاً عن كل شيء.. أي: أن يعرف الإنسانُ قدراً من المعلومات في كل مجال حتى يستطيع أن يتحدث بها، ويستعرض معلوماته. فلو أنّ إنساناً خارقَ الحفظ حفِظ إحدى الموسوعات العلمية، وبدأ يتحدث بها في أحد المجالس في كافة المجالات لانبهرنا منه، ووصفناه بالمثقف الحقّ حسب التعريف المذكور، وهذا شيء مثير للانبهار حقاً، ولكن؛ هل الثقافة التي يسعى إليها الساعون تعتمد على جمع وحفظ المعلومات فقط؟

أرى أن تعريف الثقافة بأنها «معرفة شيء عن كل شيء» لا يخلو من السطحيّة، فهو يصف ثقافةً ناقصةً تتعلق بحفظ واسترجاع المعلومات فقط كما يفعل الحاسب الآلي، وقد لا تضيف إلى الإنسان إلا معلومات جامدة، فقوّة الذاكرة مع الاطلاع لا تعني غزارة الثقافة بالضرورة، وإن كانت تساهم فيها.

أعجبني وصف الفيلسوف الفرنسي إدوارد هيريو للثقافة بأنّها: «ما يبقى بعد أن ننسى كل شيء»، فهي ليست معلومات يمكن أن نحفظها وننساها، ولكنّها –في أحد مفاهيمها– طريقة التفكير التي نستخدمها لفهم الأمور، فعمق نظرة الإنسان فيما يعرض له من أمور،

وطريقة فهمه لها، وتحليلها، وربطها بغيرها، والاستنتاج منها، هو ما يحدد مدى ثقافته.

فكلما كانت نظرته إلى الأمور أعمق، وتمكن من التفكر فيها، والنظر إليها من زوايا مختلفة كلما زادت ثقافته، ثم يأتي بعد ذلك حجم المعلومات، وتنوّع المعارف التي يحويها عقله لتبرز عندها أهمية «معرفة شيء عن كل شيء» مع فهم واستيعاب وربط وتحليل. فالاستفادة من حفظ المعلومات لا تكتمل إلا بالتفكير العميق والتحليل الدقيق، والاستيعاب السليم.

يقول كونفوشيوس: «لا يحصل المرء على المعرفة إلا بعد أن يتعلم التفكير». فلا يمكننا أن نصف الحاسب الآلي الذي يحفظ ملايين المعلومات، وينفذ أوامر الإنسان فيها بالمثقف، فلم يعد حفظ المعلومات في العقول مُهماً كما كان في السابق، فالمعلومات متوفّرة بين أيدينا، ولكنها تحتاج عقلاً واعياً مفكراً يستوعبها، ويحلّلها ويستنتج منها، فالثقافة الحقّة تعتمد على طريقة التفكير، وليس على قوة الذاكرة.

أما أصحاب الثقافة الوهمية فَهُم مَن تحمل عقولهم كماً كبيراً من المعلومات مع فهم سطحيّ بسيط، فلا ترى ثقافتهم ظاهرةً إلا فيما يعرضون من معلومات جامدة، ومفاهيم سطحية، وربما ما يحملون من غرور، فتجد التناقض بين حجم اطّلاعهم الواسع، وسوء سلوك بعضهم وطريقة تفكيره، فيكون عقل الواحد منهم مثل رفٍّ كبير تُوضع عليه آلاف الكتب، فيحمل ملايين المعلومات دون أن يعِيَها.

وهؤلاء أداة رائعة لنقل العلوم والمعارف لغيرهم، فهم يحفظون الكثير مما يجهله عامّة الناس، فيمكن أن يبلّغوا غيرهم ليأخذوا منهم المعلومات والمعارف، وربما يستفيد من ينقلون له ما يحفظونه من معلومات أكثر مما استفادوا منها هم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فربَّ مُبلَّغ أوْعَى من سامع» رواه الترمذي.

وهناك مَن يحملون ثقافةً سلبيةً لا تزيدهم إلا تذمراً وتأفُّفاً وانتقاداً سلبياً دون أن يحاولوا فعل شيء، فهم رغم ثقافتهم الغزيرة واطلاعهم الواسع وفهمهم العميق إلا أن نظرتهم التشاؤمية لما حولهم جعلتهم لا يتجاوزون الانتقاد، وإظهار عيوب المجتمع؛ فيستعرضون عضلاتهم الفكريّة، ويبيّنون قدراتهم النقدية، ساخطين على العالم مِن

حولهم، والذي لم يستطع فهمهم كما يعتقدون دون أن يفعلوا شيئاً مفيداً، فلم تضف لهم ثقافتهم إلا سلبيّةً يبرّرونها بأخطاء الآخرين لتزيدهم سلبية.

إن الثقافة في الواقع أمر متاح لجميع البشر، وليست تخصّصاً، أو مهنةً، أو سلوكاً محدداً، فليس المثقف بالضرورة مَن يختار مِن الألفاظ أندرها، ومِن الجمل أصعبها، ومِن الأفكار أغربها، ولا مَن يدّعي المثاليّة، ويمتهن الانتقاد، ولا مَن يعارض القصائد، ويُألف الروايات، ولا من ينغمس في المصطلحات، ويقرأ الفلسفات، وينتقد التعريفات، ولكنّها طريقة تفكير متاحة للجميع، فيمكن للإنسان أن يكون مثقفاً حتى وإن لم يعرف أفلاطون، ولم يسمع بديكارت، ولم يقرأ لأدونيس، بل يمكنه أن يكون مثقفاً حتى وإن نَصَبَ الفاعل، وجرّ المفعول، فالثقافة ليست استعراضاً للعضلات الفكرية، أو المصطلحات اللغوية، ولكنّها –مرّة أخرى– طريقة تفكير.

الوقت والتعلم

عندما كان العالم الشهير آينشتاين مدرّساً في جامعة برينستون في أمريكا، وبعد أن قدّم أسئلة الاختبار لطلابه في مادة الفيزياء، اكتشف مساعده أن الأسئلة التي قدمها آينشتاين في الاختبار هي نفس الأسئلة التي قُدِّمت لطلاب الفصل السابق، وفي الغالب أن الطلاب قد اطّلعوا عليها مسبقاً، ولم يتوقع أن يقع آينشتاين في مثل هذا الخطأ، فتجرأ المساعدُ وهمس في أذنه وقال: «دكتور آينشتاين، أليست هذه نفس أسئلة طلاب الفصل السابق؟» فقال آينشتاين: «بلى»، فتساءل المساعد: «اعذرني على السؤال دكتور آينشتاين، ولكن كيف يمكن أن تقدّم نفس أسئلة الفصل السابق؟» فقال آينشتاين: «أنا لم أغير الأسئلة، ولكن الإجابات تغيّرت».

فعلاً، العالم من حولنا يتطوّر ويتغيّر بسرعة هائلة، فأحياناً لا تتغير الأسئلة في حياتنا، ولكنّ العِلم يتقدّم والعالم يتطوّر، فتتغيّر

الإجابات، وعلى الإنسان أن يواكب هذا التطوّر السريع ليحقّق النجاح، فالناجحون يتطوّرون بشكل أسرع من غيرهم، بل إنهم هُم مَن يطوّرون العالم، أمّا الفاشلون فيكتفون بالأفكار والمهارات والسلوك والعادات التي كانت لديهم منذ زمن بعيد، ويقتنعون بها ولا يطوّرونها، فيسبقهم الزمن، ويتفوّق عليهم الآخرون ليجدوا أنفسهم في مؤخّرة الركب.

ولا ضَير في أن يحافظ الإنسان على عاداته الطيّبة، وخصاله الجميلة، وقِيَمه العالية، ولكن ربّما تكون أطيب وأجمل وأعلى إذا طوّرها، وأضاف إليها.

إنّ الثبات على نفس المستوى هو في الواقع تراجع وليس ثباتاً مقارنة بتقدُّم الزّمن وتطوّر الحياة، فمَن كانت سرعة تطوّره أبطأ من سرعة تغير العالم من حوله صار ضحيةً لهذا التطوّر، ومن أراد مجاراته فليتطوّر بنفس سرعته، أما مَن أراد التحكّم فيه والسيطرة عليه فيجب أن يتوقعه، ويستعدّ له بل ربما يسبقه ويحدّثه. قال خبير الإدارة بيتر دراكر: «إنّ أفضل طريقة لتوقّع المستقبل هي صناعته».

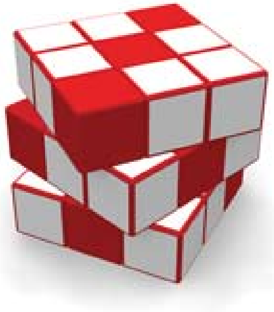

الفصل الثاني

تعلم ما يفيدك

"أهم مهارة يجب اكتسابها هي أن تتعلم كيف تتعلم"

إن مسيرة التعلم الفعال تبدأ بأن يُجيد الإنسان مهارات التعلم، فرغم أن التعلم فطرة بشرية، إلا أن فعاليته وإتقان مهاراته تختلف من شخص إلى آخر، ولا تتحقق أعلى مستوياته إلا بإتقان فنون ومهارات خاصة تساعد المتعلم على استخلاص أكبر قدر من الفوائد. يقول المؤلف جون نايسبت: «إن أهم مهارة يجب اكتسابها هي أن تتعلم كيف تتعلم». فعلى المتعلم الفعال أن يتقن فنون الاستنباط والسؤال والحوار والتفكير، وغيرها من الفنون والمهارات التي نذكر بعضاً منها فيما يلي لتدعم شغفه بالتعلم.

رتب أولوياتك

إن ترتيب الأولويات من أهم عادات الناجحين كما ذكر ستيفن كوفي في كتابه «العادات السبع للناس الأكثر فعالية»، وتزداد أهمية ترتيب الأولويات في التعلم باعتباره من أكبر مستهلكات الوقت والجهد والمال، فالحياة كبيرة، والعلوم كثيرة، وعمر الإنسان قصير نسبياً، فمهما بلغت الجهود التي يبذلها الإنسان في التعلم فإنه لن يستطيع تعلم كل شيء، لذا فينبغي عليه أن ينتقي من العلوم ما يناسب حاله، ويستحق جهده ووقته وماله، ويساعده على تحقيق أهدافه وبلوغ طموحه.

ويكون ذلك بأن يعرف الإنسان نفسه جيداً، ويكتشف مراكز قوّته، ومكامن جهلة، ونقاط ضعفه، ثم يحدد أهدافه ليعرف ما يحتاج تعلمه ليحقق طموحه، فيبدأ بتعلم الأهم أولاً.

ولكن بعض الناس أعداء ما جهلوا كما يُقال، فالبعض يخاف المجهول، ويخشى التغيير، فيخضعه خوفه إلى الرضا بضعفه والاستسلام لجهله، وهو بهذا يزيد حجم المشكلة بالتهرب منها وتجنب مواجهتها، ولكن هذا ما لا يفعله الناجحون، فالناجح يواجه جهله بالسعي إلى التعلم متى ما رأى أنه بحاجة إلى ذلك.

ومن أولى أولويات التعلم أن يتعلم الإنسان ما يتعلق بمجاله الرئيس في الحياة، فلا يجدُر بالمثقف الشغوف بالتعلم إلا أن يكون من أفضل الناس في مجال تخصصه، وأكثرهم علماً به، وإتقاناً له، فيركز تعلمه عليه ويتابع كل جديد فيه باستمرار.

ولكن هذا لا يعني أن يغفل بقيّة العلوم التي تزيد الثقافة، وتثري التفكير، وتستفز العقل، وتدعم فهمه للحياة، بل انه يطّلع على كافة العلوم مع تركيز على مجالات معينة.

يقترح الدكتور طارق السويدان على المتعلم أن تكون نصف قراءاته في مجاله الرئيس في الحياة، بينما يتنوع النصف الآخر بين كافة العلوم الأخرى.

ويقترح الدكتور عبد الكريم بكّار أن تكون نصف قراءة الإنسان في الثقافة المتخصصة، ورُبعها في الثقافة الشرعية، والربع المتبقي في الثقافة العامة.

وقال مصطفى السباعي: «إذا أردت أن يكون لك شأن بين العلماء فتخصص في فرع من فروعه، وشارك بقدر ما تستطيع في فروع الثقافة العامة».

فن الاستنباط

يعتبر فن الاستنباط من أهم فنون التعلم، فبواسطته تستخلص الفوائد من مصادر التعلم كالكتب، والحوارات، والمواقف، والقصص وغيرها.

وإجادة هذا الفن متفاوتة بين الناس في الكمّ والكيف، فقد نجد شخصين قرءا نفس الكتاب، ولكن استفادتهما منه مختلفة، فربما استنبط كل واحد منهما فوائد تختلف عما استنبطه الآخر، وربما نجد شخصاً ثالثاً لا يضيف له نفس الكتاب شيئاً.

ويمكن للمتعلم أن يطوّر فن الاستنباط لديه بثلاث ممارسات: أولها التأني في التفكير، وثانيها كثرة الاطلاع، وثالثها كثرة ممارسة الاستنباط.

أما التأني في التفكير فهو من عادات العقلاء، وصفات الحكماء، فينبغي على المتعلم أن لا يستعجل في فهم المعلومة المتلقاة

والاستنباط منها، بل يفكر فيها بعمق، وفي تفاصيلها من عدّة زوايا ليبحث عن فوائدها الرئيسة الواضحة، والفرعية الخفية، فالتأمل يساعد على إبطاء عملية التفكير وزيادة فعاليتها. ويروى عن الإمام الشافعي أنه استنبط أكثر من سبعين فائدة بعد أن سهر ليلةً كاملةً يفكّر في حديث قصير من أقوال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو: «يا أبا عُمير ما فعل النُغير» أخرجه البخاري.

أما كثرة الاطلاع وزيادة الثقافة ، فإنها تؤدي إلى زيادة قُدرة المتعلم على التفكير، والنظر في الدروس من زوايا مختلفة بشكل أكثر عمقاً ودقةً؛ فكلما زادت ثقافة الإنسان زادت قدرته على فهم الأمور واستنباط الفوائد. قال استونوف: «بالثقافة يتعلم الإنسان كيف يتعلم».

أما ممارسة الاستنباط باستمرار والتعوّد عليه فيجعل الإنسان أكثر إتقاناً له، ومثلها في هذا مثل أيّ عادة أخرى يمارسها الإنسان باستمرار فيزداد إتقاناً لها، فكلما مارس المتعلم المثقف الاستنباط مدعوماً بالتفكير المتأني، وكثرة الاطلاع، كلما زاد إتقانه له، وزادت قدرته على استخلاص ثمين الفوائد.

فن السؤال

إنّ للسؤال فناً بالغَ الأهمية في عملية التعلم، فهو من أهم وسائل استخلاص الفوائد من عقول الآخرين، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أناس أفتوا فيما لم يعلموا: «ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنّما شفاء العيّ السؤال» رواه أبو داود، والعيّ هو الجهل. وسُئل ابن عباس: كيف حَوَيْت كل هذا العلم؟ فقال: «بقلبٍ عقول ولسانٍ سؤول».

فلا يتوقع المتعلم الفطن أن تتم الإجابة على كافة الأسئلة التي تجول في ذهنه دون أن يطرحها، فربما لا يفطن إليها المعلم أو المتحدّث، أو ربما لا ينتبه لها المتعلّم أو المستمع.

إن طرح السؤال يعطي انطباعاً قوياً عن شخصية السائل وعقله وثقافته، فكلما كان السؤال وجيهاً وعميقاً كلما بانت قوة ثقافة السائل وعمق تفكيره، وكلما كان ساذجاً بسيطاً كلما اتضح أن عقلية السائل سطحيةً بسيطةً، ومن الناس من يسأل عن كل ما يخطر بباله دون أن يقيّم وجاهة السؤال، وذلك لاعتقاده الخاطيء بأن كل سؤال لا يعرف إجابته يُعتبر سؤالاً وجيهاً.

وفي قصة شهيرة للإمام أبي حنيفة رحمه الله أنّه كان يُدرّس بين طلابه في المسجد، وكان يمدُّ رجليه وهو يعطي الدرس ليريح ركبتيه، فدخل رجل تظهر عليه علامات الهيبة والوقار وجلس في الدرس، فثنى أبو حنيفة رجليه احتراماً وتوقيراً للرجل، وأكمل الدرس، فأراد الرجل أن يسأل سؤالاً فسكت الجميع، فسأل:

- متى وقت المغرب؟

فأجابه:

- إذا غربت الشمس.

فقال:

- وإذا جاء منتصف الليل والشمس لم تغرب بعد؟

فمدَّ أبو حنيفة رجليه وقال عبارته الشهيرة: «آنَ لأبي حنيفة أن يمدّ رجليه»؛ لما في سؤال الرجل من سذاجة أثرت على احترامه وهيبته ووقاره.

وتزداد أهمية فن السؤال عند الاستماع إلى متحدّث يملك من العلم والمعرفة الكثير، ولكنّه لا يجيد مهارات الإلقاء والشرح المنظّم، فيكون فَهم أفكاره صعباً بسبب ضعف مهارات الشرح وايصال الأفكار لديه، ولكنه عندما يُسأل سؤالاً محدداً واضحاً يجيب إجابةً واضحةً وافيةً. ويحدث هذا كثيراً في المدارس والجامعات، حيث يتمتع بعض المحاضرين بعلم وفير؛ ولكن مع ضعفٍ في مهارات العرض والإلقاء لديهم فلا تصل أفكارهم بشكل واضح ومرتب، وفي هذه الحالة يجب على المتعلم أن يسأل أسئلة واضحة محدّدة؛ ليحصل على إجابة مباشرة وافية من هذا الخبير.

وتظهر أهمية السؤال أيضاً عند التحدث مع بعض المميزين الذين يتمتّعون بمهارات إصغاء وأدب استماع، حيث أن بعضهم لا يعلّق على ما يقوله المتحدّث إلا إذا سُئل أو طلب منه ذلك بشكل مباشر، وهذا من فرط أدبه، وحُسن إنصاته، وعدم تدخله في شؤون

الآخرين، كأن يقوم شخص بشرح مشكلته لمستمع جيّد وينتظر منه رأيه دون أن يطلبه منه، ولكن ذلك المستمع يمنعه أدبه أن يتحدث فيما لم يُسأل عنه، فينبغي توضيح السؤال لتحصل على الإجابة، وبساطة سؤال: «ما هو رأيك؟» قد تكون كافية.

فن الإنصات

إن فن الإنصات من أهم أدوات الفهم ومهارات التعلم وميزات الناجحين، فهو يُثري عقل الإنسان ويزيد معرفته، وكم من معلومة هامة وفائدة حاسمة أضاعها البعض بعدم إنصاتهم وسوء مقاطعتهم. قال جونسون: «لن تتعلم إذا كنت تتكلم».

وذكر ستيفن كوفي في كتاب «العادات السبع للناس الأكثر فعالية» أنّ مِن أهم عادات الناجحين أنهم يحاولون أن يفهموا أولاً قبل أن يحاولوا أن يفهمهم الآخرون، فتجد الناجح منصتاً بتركيز ليفهم الأمر أولاً، ومن ثم يتعامل معه، ولا يفترض أنه مستوعب لكل ما سيقوله المتحدّث قبل أن يكمل كلامه، فتوقعات الإنسان في هذا ليست دائماً صائبة.

وبما ينبغي على المتعلم الانتباه له أن لا يُضيع وقتاً طويلاً في إنصات لا يستحق هذا الوقت، فتجد البعض من فرط أدبه والتزامه بفن الإنصات لا يكاد يجد الفرصة للحديث أبداً، ولا لشرح وجهة نظره، فيفهم ما يقوله الآخرون تماماً، ولكن يصير مُهمّشاً لا تأثير له، ولا يُعطَى الفرصة لعرض رأيه.

فينبغي على مُتقن فن الإنصات أن يُتقن أيضاً ما يمكن تسميته فن المقاطعة، والذي يُعَدُّ أحد مهارات الإنصات الفعّال، فمن الناس من لا يسكت حتى يتكلم غيره ويقاطعه، ومنهم من يردّد فكرته مراراً وتكراراً، ففي مثل تلك الأحوال يجب على المتعلم أن يقاطع المتحدّث حسب رؤيته لمسار الحديث وتقييمه له، وبالطريقة المناسبة للموقف.

تعّودنا في غالبية الحوارات على وجود بعض الأعضاء الصامتين والمستمعين فقط، فلا يكون حديثهم إلا نادراً ولا تكون كلماتهم إلا مختصرة على استحياء، ولكن ندرة كلامهم لا تعني بالضرورة أنهم لا يملكون في عقولهم ما يمكن أن يثروا به الحوار، ولكن الكثير منهم تمنعه عاداته وشخصيته من التحدّث باستفاضة من دون أن يُطلب منه ذلك، فهؤلاء الصامتون بحُسن إنصاتهم قد سمعوا

وتعلموا وصاروا يملكون الكثير من الحكمة التي يمكن الاستفادة منها، ولكن ثرثرة البعض قد تُثنيهم عن إخراجها.

فلا تُضع فرصة الاستفادة من حِكَم الصامتين باستكشاف عقولهم واستخراج ما فيها، ويكون هذا بملاحظتهم أولاً، ثم سؤالهم بين الحين والآخر عن رأيهم في الموضوع محل الحوار، والحرص على الإنصات لهم وعدم مقاطعتهم، وربما يُذهلك حجم الفوائد التي تحصل عليها منهم، فضلاً عن أن الاهتمام بهم سيبعث في نفوسهم الرضا والمحبة.

فن الاختلاف

يُقال في علم الإدارة: إذا كان لدى شخصين نفس الرأي دائماً، فإنّه يمكن الاستغناء عن أحدهما، وهذا يعني أن أحدهما لن يضيف للآخر شيئاً، ولن يضيف اجتماعهما للشركة التي يعملان فيها شيئاً، فهما يحملان نفس الرأي دائماً، فوجود أحدهما يُغني عن الآخر.

وهذه مقولةٌ تنطبق على جوانب أخرى من الحياة، فإذا كنتَ تجالس دائماً من يتفقون معك في الرأي، فإن هذا لن يضيف إليك الكثير، وإذا كنتَ تقرأ كُتُبَ من يتحدثون عن أفكارك بطريقة أخرى، فإن هذا لن يُنير فِكرك، ولن يُوسّع أفقك، ولن يحثّ عقلك على التفكير.

ويجب على الإنسان الشغوف بالتعلم، الساعي إلى التطور، أن يحرص على مخالطة ذوي الآراء الوجيهة ممّن يختلفون معه، ويقرأ كتبهم، ويطّلع على آرائهم، ويناقشهم في أفكارهم، فالتعلم من هؤلاء أرجى، فيتعلم ممن يختلفون معه في الثقافة، أو المنهج، أو المبادئ، وينظر إليهم على أنهم كنزٌ يُنير فكره، ويستفز عقله ليفكّر ويتطوّر، لا على أنهم أعداء يجب أن يقتنعوا برأيه، فالاستماع لهم حتى وإن لم يقتنع بآرائهم له أثر إيجابيّ في إعمال العقل، وتحفيز الخيال، وإثراء الفكر، والنظر في الأمور من زوايا مختلفة، فربما يقتنع بما يقولونه تماماً، ويغير رأيه، وربّما يرفض وجهة نظرهم بعد الاستماع إليها ويزداد اقتناعه برأيه، وربما جعله الاطلاع على آرائهم يقتنع برأي جديد وسط، وهذا في كل الأحوال يُنمّي ثقافته، ويطلق تفكيره، ويزيد حكمته.

والاطلاع على ما يقوله المخالفون لا يزيد المعلومات فقط، بل إنه قد يضيف للإنسان طريقة تفكير جديدة أو نظرة مختلفة إلى الأمور، وهذا بلا شك أثمن من المعلومات الجديدة التي قد يحصل، فالمعلومات الجديدة قد تفيده في مجالات محددة، أما طريقة التفكير الجديدة فيمكن أن يستخدمها في كافة أمور الحياة.

وينبغي أن لا يستعجل المحاور إقناع الآخر برأيه أثناء الحوار، بل يُوضّح وجهة نظره، ولا يضغط على محاوره، ويعطيه ويعطي نفسه الفرصة للتفكير، فربما فكّر أحدهما على انفراد واقتنع برأي الآخر، فمن الناس من يحتاج إلى وقتٍ للتفكير ليغير رأيه، وبالذات في الأمور المهمّة، أمّا تكرار الأفكار والحجج ورفع الأصوات فهي من علامات الجدل العقيم الذي لا فائدة منه.

وفي كثير من الأحيان لا يكون مضطراً لأن يكون له رأي واضح ومحدد في أمر ما، ولا مانع من أن تظل بعض الأمور قيد التفكير أو البحث لفترة طويلة دون حسم سريع، ما لم يكن ذلك متعلقًا باتخاذ قرار مرتبط بالوقت، وربما يقرر الإنسان بعد التفكير والبحث أنه لم يستطع حسم موضوع معين مع نفسه، ولم يتمكن من تحديد رأيه فيه بعد، وإنما يستمع لآراء الآخرين بشغف دون اتخاذ موقف محدّد بالضرورة.

أهديت مرةً أحد الأصدقاء كتاباً يحتوي على أفكار مثيرة للجدل، ثم سألته بعد أن قرأه عن رأيه في الكتاب الذي أرفض الكثير من أفكاره، فأجاب بأنه كتاب جيد، ثم سألته عن رأيه بمؤلف الكتاب

الذي أختلف معه كثيراً، فقال: «ماذا تقصد؟ لم أفكر في رأيي في المؤلف، ولكن الكتاب جيد». وكنت أتوقع منه أن ينتقد المؤلف ويرفض أفكاره، ولكنه فاجأني برده الذي تعلمت منه درسين مهمين: الأول أنه يجب أن أركز على الأفكار أكثر من تركيزي على الأشخاص، والثاني أنني لست مضطراً إلى أن أتخذ رأياً محدداً بالتأييد أو المعارضة في كل شيء أطلع عليه، ويكفي أن أعرف الآراء الجديدة، واستوعبها لأستفيد.

إن الاختلاف في الرأي لا يفسد للوُدّ قضية كما يُقال، فمِن الممكن أن نتحاور، ونختلف في الرأي، ويحترم بعضنا البعض، ونبحث عن الحقّ سوياً، ونعترف به وإن لم يأت من عندنا. قال الشافعي: «ما جادلت أحداً إلا تمنيتُ أن يُظهر اللهُ الحقَّ على لسانه»، وقال أيضاً: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

ومن الجدل ما يُضيّع الوقت، ويزيد التوتّر، وينشر البغضاء، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنّة لمن ترك المِراء وإن كان محقاً» رواه أبو داود. والمراء هو الجدل، فكون المجادل يشعر أنه على حقّ لا يعني أن يستمرّ في الجدل غير المفيد

ويتمسّك به، وعندما يتحوّل الحوار إلى جدل لا فائدة منه ينبغي على المحاور الحكيم الانسحاب، فليست غاية الحوار أن يتفق الطرفان، ولكن يكفي أن يقول كل واحد منهما رأيه بوضوح ويبرِّره.

استفد من النقد

إنّ تلقّي النقد والتعامل معه من أهم مهارات التعلم، فعندما يتم انتقادك فإنك تحصل على فرصةٍ ذهبيةٍ لتتعلم وتتطوّر، فما النقد إلا مرآة تعكس لك صورتك كما يراها الآخرون لتكتشف عيوبها وتصلحها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المؤمن مرآة أخيه » الأدب المفرد للبخاري. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي »، فأيّ هديةٍ أغلى من تلك الهدية التي تجعلك إنساناً أفضل.

فينبغي على الإنسان الشغوف بالتعلم أن يُنصت لمنتقده جيداً، ثم يسأل نفسه إن كان في هذا النقد شيءٌ يمكن أن يستفيد منه ليتطوّر نحو الأفضل أم لا، بغضّ النظر عن أية إساءة قد يقولها المنتقد، أما إذا بادر بأخذ موقف المدافع عن نفسه، أو المهاجم لمنتقده، فإنه قد يشعر نفسياً بأنه ردّ على تلك الانتقادات ودحضها، وبالتالي يشعر أنه لا

يحتاج لأن يغيّر نفسه نتيجة هذه الانتقادات، فهي لم تعد وجيهة كما يتوهَّم.

وكثيراً ما نرى أن ردّ النقد يكون بالنقد المضاد، فعندما تقول لي مثلاً: «إنك متعصّب لرأيك، ولا تقبل الرأي الآخر»، فربما أرد مباشرة: «بل أنت الذي لا تُحسن فن الإصغاء، ولا تدع للآخرين فرصةً للتحدّث»، وبالتالي لا يكون أي منّا قد استفاد، فردّي على النقد بالنقد لا يعني أني عالجت مشكلة التعصّب للرأي عندي، إن كانت حقيقيّة، ولكنّ هذا الردّ الهجومي أشعرني بأني قد حللت المشكلة، ولم يجعلني أفكّر بعمق فيما إن كنتُ فعلاً أعاني من هذا العيب -التعصّب للرأي- أم لا، كما أنني ربما أخسر مُحاوري، فضلاً عن عدم خروجنا بنتيجة من الحوار.

ويستفيد العاقل من نقد وملاحظات ونصائح الآخرين حتى وإن تلقّاها ممن يحمل عيوباً كثيرةً، فإن كان لهذا النقد قيمة، فتلك حكمة أتيحت للإنسان ليأخذها، فربما كان المنقود أوعى من الناقد وأحرص على تطوير نفسه والاستفادة من الحكمة أينما وجدها، فلا يُشترط أن يكون الناقد خالياً من العيوب حتى نستفيد من نقده.

وتذكَّر أن النقد لا يصيب مَن لا قيمة لهم، يقول الكاتب الأمريكي ألبرت هابرد: «لكي تتجنّب النقد لا تعمل شيئاً، ولا تقل شيئاً، ولا تكن شيئاً»، فمن يعمل لا بدّ أن يُخطيء ويتعرض للنقد.

دقق قبل أن تصدق

إن شخصية الإنسان وفكره ومنطقه وثقافته تُبنى على ما يستوعبه من أفكار وما يقتنع به من معلومات وأخبار، فقناعاته تحدد شخصيته وطريقة فهمه للأمور؛ لذا فإنه من المهمّ جداً أن يحرص كل الحرص على التدقيق فيما يدخل عقله من معلومات، فيصنّفها حسب مدى صحتها ودقّتها، وأن لا يصدّق الأخبار غير الدقيقة، أو المعلومات غير الموثوق بها، مهما كانت مشوّقة؛ لكي لا يبني شخصيته على أساس خاطئ، وفهم غير واقعي للحياة.

ولكن التدقيق في صحة الأخبار والمعلومات وتصنيفها حسب ما تستحقه من مصداقية أو تحفّظ ليس بالعملية السهلة، خصوصاً في ظل الكم الهائل من المعلومات التي نتلقاها يومياً في عصرنا الحاضر، فقد كثرت الأخبار وتعدّدت مصادرها.

ولتسهيل ذلك فقد فكّرت في معيار يمكّنني من قياس مدى صحة الأخبار التي أتلقاها، وابتكرت معيار «المصدر والمحتوى»، الذي يعتمد على النظر في قوة مصدر الخبر ومتانة محتواه، فصحة الخبر حسب هذا المعيار تعتمد بنسبة ٥٠ % على مدى مصداقية المصدر، وبنسبة الـ ٥٠ % الأخرى على مدى متانة المحتوى، فيقيّم المتلقّي مصداقية المصدر وموثوقيته في نقل الأخبار، ويعطيه درجة من ٥٠ ، ويحدد متانة المحتوى ومعقولية حدوثه، فيعطيه درجة من ٥٠ أيضاً، ليحصل الخبر على درجة نهائية من ١٠٠ تحدد مصداقيته.

وربما لا يحتاج المتلقي الدخول في حسابات وأرقام ليحدد صحّة الخبر؛ ولكن يكفي أن يتم تقدير مدى مصداقية المصدر وموثوقيته بشكل عام، وكذلك النظر في قوة المحتوى، وإذا كان مما يغلب على الظنّ حدوثه أم لا، فنصف صحّة الخبر تعتمد على مصدره، والنصف الآخر على محتواه.

فلو جاءني خبر عبر البريد الإلكتروني مما ينتشر حالياً عن طريق المجموعات البريدية، فإن المصدر يكون ضعيفاً، ولا يأخذ من ال ٥٠ % الكثير، ربما ٥% فقط، ثم أنظر في المحتوى، فإذا كان يتحدّث

عن أمر لا يعقل حدوثه فلا يأخذ من تقييم المحتوى إلا الشيء القليل، ربما ١٠ ٪ فقط، لتكون مصداقية الخبر لدي لا تتجاوز ١٥ ٪ فهو بالتالي خبر غير صحيح غالباً، وإذا كان الموضوع مُهماً بالنسبة لي، بحثتُ لأتأكد من قوة المصدر. وربما توقّفت عن تقييم صحة خبر معين فلا يكون عندي صحيحاً ولا كاذباً حتى يثبت أحدهما. ومع الاستمرار في تطبيق هذا المعيار يتعوّد الإنسانُ عليه، ويكون تقييمه لمصداقية المعلومات تلقائياً دون تكلّف.

احكم بعقلك

إن شغف التعلم الفعّال يتطلب أن يستخدم المتعلم عقلاً متزناً وتفكيراً موضوعياً في فهم الأمور والحكم عليها، فيتجنب الميل إلى الأهواء، والتمسّك بالقشور، والانجراف مع الأفكار، والتسرع في تصنيف الآخرين.

فينبغي على المتعلم الفعّال أن يكون أوعى من أن يقع في خطأ التصنيف المتعجّل، وأرقى من أن يسلّم عقله لغيره لينسخ آراءهم دون اطّلاع وتفكير، وأعقل من أن يسارع بتصديق كل ما يتعلمه دون تحفّظ، بل يطّلع، ويفكر، ويتأمل، ويسأل، ويجرب، ويبحث، ليحكم بعقله وقناعته، قال العقّاد عن كتاب وُصف له وصفاً سلبياً: «قد حكم الناس عليه بعقولهم، فدعني أحكم عليه بعقلي».

ويكون المتعلم أكثر حذراً، وتحفّظاً في تصديق ما يقوله خصم عن خصمه، فالإشاعات والأكاذيب تنتشر عن الأصدقاء بين الأصدقاء، فما بالك إذا كانت عن الأعداء والخصوم والمنافسين؟!

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض المتعلّمين أن لا يثقوا بمعلّمهم أثناء مرحلة التلقّي، فلا يأخذون ما يتعلّمون منه بالجدية الكافية، سواءً كان هذا المعلم إنساناً، أو كتاباً، أو موقفاً، أو علماً، أو غير ذلك، فيكونون رافضين لما يتلقّونه منه قبل أن يفكروا فيه، فلا يتأملونه ولا يستفيدون منه، فهم يضعون بعض معلميهم في قوالب ذات مواصفات محددة، ربما تم بناؤها على انطباعات متسرعة، أو عواطف شخصية، أو إشاعات كاذبة، فيحكمون عليهم قبل أن يستمعوا إليهم، أو يفكروا فيما يقولونه، وهذا يفقدهم فرصاً هائلةً للتعلم.

ولا أقول أنه يجب أن تقتنع بكل ما يقوله معلّمك، أو أن تتبنى جميع أفكاره، ولكن أن تثق به أثناء مرحلة التلقّي، وتأخذ ما يقوله بجدّية تامّة، وتفكّر فيه بعمق، تاركاً الانطباعات المسبقة مؤقتاً لتحدّد قبوله أو رفضه أو غير ذلك، ومن ثم تُراجع انطباعاتك.

ويميل البعض إلى تصنيف كافة البشر إلى إنسان صالح في كل أموره، وآخر فاسدٌ في كل أموره؛ وكأنهم لا يرون على الأرض إلا ملائكة أو شياطين، فإنْ صنّفوا أحداً على أنه ملاك طاهر جعلوه منزهاً إلا عن القليل من الخطأ غير المقصود، فلا يصدّقون فيه إلا ما يتماشى مع تصنيفهم له، ولا يتوقّعون منه إلا ما يليق بفكرتهم عنه، ولو أحدث ما يهز ثقتهم فلربما حوّلوه مباشرة إلى شيطان خبيث منافق، أظهر الخيرَ وأبطن الشرّ، واستطاع خداعهم لفترة طويلة، أمّا إن صنفوا أحداً على أنّه شيطان مريد، فإنهم لا يصدّقون فيه إلا شراً يتماشى مع تصنيفهم له، وإن بدر منه خير حملوه على محمل النفاق والخبث والتخطيط لسوء، فهو في نظرهم شيطان يسعى للضرر فقط.

وفي نظري أن هذا تطرف عاطفي متسرّع، فالحقيقة أن عامّة البشر يعيشون بين الخير والشر، ففي كلٌ خيرٌ، وفي كلٌ شرٌ، ولا يوجد في عامّتهم ملاك طاهر، ولا شيطان رجيم، كما أنّ الإيمان يزيد وينقص، فيمكن للإنسان الخيّر أن يميل إلى عمل خبيث، ويمكن للإنسان الخبيث أن يميل إلى عمل خير.

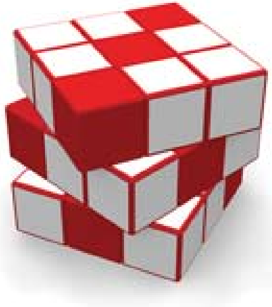

الفصل الثالث

تعلم من كل شيء

"الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق بها"

إنّ شغف الإنسان بالتعلم يجعله حريصاً على التعلم من كل ما يمرُّ به في حياته، باحثاً عن كافة مصادر التعلم، متلذذاً بما ينهله منها من فوائد، وقد ورد في الأثر: «الحكمة ضالّة المؤمن، أينما وجدها فهو أحقُّ بها»، فيتعلم الإنسان من تجاربه وتجارب الآخرين، ويتعلم من الدراسة والقراءة والاطلاع، ويتعلم من الحكماء والجهلاء والأصدقاء والأعداء، بل إنه يتعلم حتى من الماء والهواء والجبال، ففي كل شيء – لو تفكّر فيه- دروسٌ يتعلمها، فيبحث عن الحكمة أينما وجدها، ونذكر فيما يلي بعض ما يمكن أن تكون مواضعاً للحكمة ومصادراً للتعلم.

تعلم من الكتاب

إن الكتاب من أعظم النِّعم التي أنعم الله بها علينا، فقد مكننا من معرفة علوم السابقين، وخلاصة أفكارهم، ونتاج عقولهم؛ لنستفيد منها، ونبدأ من حيث انتهوا، ونَضُمَّ عقولهم إلى عقولنا، ولولا أن رزق الله الإنسان بهذه النعمة لضاعت العلوم، ولبقي في العصر الحجري لا يتجاوزه إلا قليلاً، فالكتاب هو الوسيلة الأكثر أهميّة لحفظ العلوم وتناقلها بين الأجيال، ولا يكاد يخلو منزل أحد الناجحين من مكتبة عامرة بالكتب القيّمة والمعلومات المفيدة.

ولكن القراءة مثل الكثير من وسائل التعلم تستهلك وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً؛ لذا فمن المهم جداً أن يختار القارئ ما يقرؤه بعناية ليحافظ على وقته، وأن يُتقن فنون القراءة السريعة الفعّالة، وأن لا يجعل إنهاء الكتاب كاملاً، وقراءة كل كلمة فيه هدفاً لا يقبل

التنازل، فمِن مهارات القراءة الفعّالة أن يقرأ الإنسان ما يفيده فقط، ويتجاوز ما لا يضيف إليه جديداً.

يشكو لي بعض الأصدقاء عدم صبرهم على القراءة، وعجزهم عن إكمال كتاب رغم إدراكهم أهمية القراءة وأثرها في تطوير الثقافة وتحقيق النجاح، ويكون ردّي دائماً: «إذا كنت لا تصبر على القراءة فهل هناك وسيلةٌ أخرى تتبعها للتعلم؟» وفي الغالب يكتشف الشاكي أن المشكلة ليست في عدم حُب القراءة، ولكنّها في ضعف شغف التعلم لديه بشكل عام من كافة وسائل التعلم.

وإن كنتَ ممن ابتلوا بعدم الصبر على القراءة فلا تقلق كثيراً، فإنّ القراءة وإن كانت أحدى أهم مصادر التعلم إلا أنها ليست المصدر الوحيد له، فللتعلم مصادر غير محدودة كما نوضح في هذا الفصل، فيمكنك أن تكون شغوفاً بالتعلم حتى وإن لم تكن مولعاً بالقراءة، فتحرص على التعلم من مصادر التعلم الأخرى.

ولكن إن عَلَتْ همّتك، وقويت عزيمتك، لتكون في مصاف نخبة المتعلمين فاجعل القراءة من عاداتك المحببة، ويكون ذلك بأن تبدأ بتقوية شغف التعلم لديك، وتحرص على التعلم بكافة وسائله، حتى

إذا زاد شغفك بالتعلم صارت القراءة عندك ممتعة سهلة؛ لأنها تروي ظمأ عقلك، وعطش ثقافتك، وتُشبع رغبتك في التعلم والتطوّر.

تعلم من تجاربك

إن التجارب العملية في الحياة من أهم وأغلى الدروس التي يمكن أن يتعلم الإنسان منها، فهي كنزٌ من الدروس القيّمة المدفوعة الثمن، فيدفع الإنسان ثمنها مقدماً من وقته وجهده، وربما ماله ومعاناته، ولكن الكثير من الناس يكتفي من تلك الدروس بالشعور بالألم والحسرة، ولا يطالب بحقّه في أن يستفيد منها.

ومن أهم الدروس التي يتعلّمها الإنسان من تجاربه ألاّ يقع في نفس الخطأ مرة أخرى، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يُلدغ المؤمن من جُحْر واحد مرتين» متفق عليه، بل إنّ عليه أن يتعلم من تجاربه حتى وإن لم يخطئ، فيطوّر أداءه في كل مرة يقوم فيها بنفس العمل.

إنّ المرور بالتجارب القيّمة وحدهُ لا يكفي ليتعلم الإنسان منها ويتطوّر، ولكنّ عليه أن يحوّلها إلى دروس وفوائد، فيفكّر في الدروس التي يمكن أن يستفيدها من كل تجربة، ويسأل نفسه الأسئلة التي تحفزه على التعلم منها، مثل:

- ما الذي يمكنني أن أستفيده من هذا الموقف؟

- كيف يمكنني أن أفعل ما فعلته اليوم بشكل أفضل؟

- ما الذي تحاول هذه التجربة إيصاله لي؟

ومع ممارسة هذه العادة سوف تقوى مهارات الاستنباط لديه، ويتطوّر تفكيره، وتنمو ثقافته، ويزداد عمق نظرته لتجاربه.

تعلم من تجارب الاخرين

مِن القصص التي تروى للصغار أنّ أسداً، وذئباً، وثعلباً صادوا أرنباً، وخروفاً، وغزالاً؛ فاجتمعوا ليقتسموا الصيد، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا. فقال الذئب: الغزال لكَ أيها الأسد، والخروف لي، والأرنب للثعلب. فقال الأسد: تلك قسمة ظالمة. فضربه ضربةً أطارت رأسه، ثم قال: اقسم لنا أيها الثعلب. فقال الثعلب: الغزال لغدائك، والخروف لعشائك، والأرنب لك بين الوجبتين. فقال الأسد: تلك قسمة عادلة، من أين تعلمت هذا أيها الثعلب العادل؟ فقال الثعلب: تعلمتها من رأس الذئب التي طارت.

فكما أن الإنسان يتعلم من تجاربه وأخطائه، فإنه يتعلم أيضاً من تجارب الآخرين وأخطائهم؛ حتى يتجنب الخطأ من أول مرة قدر الإمكان، والسعيد من اتعظ بغيره، ففي بعض الأحيان لا تُتاح للإنسان الفرصة لأن يتعلم من أخطائه كما حدث للذئب المسكين،

فالاطلاع على تجارب الآخرين والتفكر فيها يُضيف إلى الإنسان كمّاً هائلاً من الدروس المجانية، فيأخذ ثمرتها، ويضيفها إلى عقله الشغوف بالتعلم.

إن جهودنا وعقولنا البشرية المتراكمة أهّلتنا لنصل إلى ما وصلنا إليه اليوم من تطوّر وتقدّم، وذلك بضم عقول من سبقونا إلى عقولنا والاطلاع على تجاربهم، وقصص فشلهم ونجاحهم، فابحث دائماً عن تجارب مماثلة لما تنوي عمله، واطلع على ما كسبته عقول الآخرين في هذا المجال، فأنت بهذا تضيف أعماراً إلى عمرك، وتجارباً إلى تجاربك، وعقولاً إلى عقلك.

إنّ فعل ما يفعله الناجحون يؤدّي إلى النجاح، وفعل ما يفعله الفاشلون يؤدي إلى الفشل، وذلك حسب قانون «السبب والنتيجة» الذي هو من أهم قوانين الحياة، ويقول هذا القانون: إن كل شيء يحدث في هذه الدنيا، وكل نتيجة تراها، يوجد خلفها أسباب أدّت إلى تلك النتيجة، وأحياناً لا يعرف الإنسان تلك الأسباب، ولكنّها موجودة، فلا شيء يحدث دون سبب، فالناجحون لم ينجحوا مصادفةً، ولكنّهم يفعلون أشياء تختلف عمّا يفعله غيرهم، وكذلك الفاشلون،

فافعل ما يفعله الناجحون لتحقّق النجاح، وتجنّب ما يفعله الفاشلون لتتجنّب الفشل.

تعلم من الجلساء

يتأثر الإنسان بشكل كبير بمن حوله، فكل منّا يتحوّل تدريجياً ليشبه من يجالسه ويعاشره ويحادثه، فمَن نتحدث معهم يؤثرون في شخصيّاتنا وتصرفاتنا واهتماماتنا وإنجازاتنا بشكل كبير قد لا يلحظه البعض، فنحن لا إرادياً نتعلم منهم باستمرار، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» أخرجه أحمد وأبو داود وحسّنه الألباني، وقد قيل: «من عاشر القوم أربعين يوماً صار منهم»، وقيل أيضاً: «قل لي من تصاحب، أقل لك من أنت».

يُروَى أن رجلاً أهدى للحاكم صقراً من فصيلة ممتازة، ففرح الحاكم به كثيراً، وسأل وزيره عن رأيه في الصقر، فقال: إنّه قد تربّى مع الدجاج. استغرب الحاكم من كلام الوزير؛ فطلب الوزيرُ أن يُطلق الصقر، فإذا به يحفر الأرض برجله كالدجاجة، وقد كان الوزير قد

لاحظ قبل ذلك أن الصقر ينظر إلى الأرض، كعادة الدجاج، وعلى غير عادة الصقور التي تنظر إلى السماء؛ وقد قيل: «إذا أردت أن تحلّق مع الصقور، فلا تُضيّع وقتكَ مع الدجاج».

حدَّثني يوماً أحد الأصدقاء النشيطين في أداء عملهم، وشكا لي ما يواجهه من مشاكل في وظيفته الجديدة؛ حيث أن غالبية الموظفين في الشركة يؤجّلون تنفيذ أعمالهم دون مبرّر، وقد صار هذا هو الأصل عندهم، فيعتبرون ذلك التأخير طبيعيّاً، وقد خشي صديقي أن يصبح هذا الشيء مقبولاً عنده هو أيضاً، فيصبح التأخير والتأجيل هو الوضع الطبيعي في ثقافته وأدائه لعمله - وحُقَّ له أن يخشى ذلك - فإن لم تتغير ثقافة الشركة، فربّما كان الأجدر به أن يبحث عن عمل آخر، فنحن نتأثر بمن نختلط بهم بشكل كبير، وهذه نظرة عميقة للمشكلة، ومثال للتفكير السليم في تأثير الآخرين على الإنسان، فالتفاحة الفاسدة في الصندوق تُفسد بقية التفاح.

إن الثقافة والمعرفة والطموح والإمكانيات تنتقل بسهولة بين الخلطاء، فاحرص على أن يكون جُلّ وقتك مع مَن يضيفون إليك الإضافات الأكبر تأثيراً، والأكثر قيمة، ولا تُطل الجلوس مع مَن هم

معجبون بشخصيتك، منبهرون بأقوالك وأفكارك، ويشعرونك بعظمتك، وتميّزك لتنتشي وتكتفي بما وصلت إليه، فأنت تحتاج إلى من يحفّزك على التطوّر، لا إلى من يدفعك إلى الغرور، فجالس المميّزين الذين يبهرونك بأقوالهم، ويسحرونك بأفكارهم، وينيرون عقلك، ويوسّعون مداركك، وتشعر بعظمتهم وتواضعك، ليكون هذا مدعاةً للتواضع، وحافزاً للتعلم والتطوّر؛ لتكون في مصافّهم.

تعلم من الأعداء

الحقُ أولى أن يُتَّبع، حتى وإن أتى من عدو، فالمهم هو الفائدة وليس مصدرها، وقد تعلم حُجّة الإسلام أبو حامد الغزالي مرةً من قاطع الطريق الذي سرقه، في قصة يرويها الشيخ علي الطنطاوي -يرحمه الله- في كتابه «رجال من التاريخ»:

«قاطع طريق خرج على القافلة التي كان فيها الغزالي، فجرّدها من كل شيء، وكان مع الغزالي دفاتره التي يدون فيها ما يسمعه، فجعل يبكي عليها، ويتوسل إلى قاطع الطريق أن يردّها، ويقول له: أنا لا أبالي بالمال ولا بالثياب ولكن تعليقتي، هي ثمرة ما حصّلته، فقال له متعجباً:

- وما تعليقتك؟

قال:

- دفتر فيه علمي كلّه.

فضحك قاطع الطريق وقال له:

- كيف تقول علمي وأنت لا تعلمه؟!

وإن ضاعت تعليقتك لم يبق لك منه شيء؟ ثم رماها إليه.

قال الغزالي:

هذا رجل أنطقه الله ليبصرني في أمري.

ولما وصل البلد حفظ كل ما فيها، وصار لا يبالي إن ضاعت، أو سُرقت، أو احترقت».

ويقول الشيخ الدكتور سلمان العودة عن أعدائه: «هم في حقيقة الأمر ليسوا بأعدائي -بعضهم يقدّم نفسه كذلك- لكن في الحقيقة هم أصدقاء، شاؤوا أم أبوا، وما بيننا من الروابط والعلاقات والمشتركات أعظم بكثير مما بيننا من ألوان التباعد والاختلاف»، فنقد الأعداء الجارح فرصةٌ ذهبيةٌ ليعرف الإنسان نفسه، فيتطوّر ويتعلم.

وربما أبعد الأعداء عن الإنسان شبح الغرور، والتكبر القاتل؛ فبأعدائك تعرف نفسك، وبأعدائك تعرف نقصك، وبأعدائك تتدرب

على مواجهة المصاعب، ومن الناس من لا يبدع إلا تحت ضغوط قويّة يوفرها له الأعداء بكل سخاء.

تعلم من الحكماء

لا شك أن في كل مجال من مجالات الحياة حكماء مميزين، وخبراء بارزين، وعلماء مبدعين يقودون المعرفة والحكمة في مجالاتهم، بقدراتهم المميّزة، وشخصياتهم الباهرة، وعلومهم الوافرة، والتعلم من هؤلاء الحكماء أرجى من التعلم من غيرهم، فمن يتعلم منهم ويقتدي بهم يجني أعظم الفوائد، ويرقى معهم سلّم الحكمة والمعرفة ليأخذوه إلى حيث وصلوا.

فعلى الإنسان الشغوف بالتعلم أن يبحث عن هؤلاء الحكماء، ويتعلم على أيديهم، ويتابع أعمالهم، ويطّلع على إنتاجهم باستمرار، ليأخذ أكبر جرعات ممكنة من الفوائد. فاجعل لك في كل مجال معلماً تأخذ منه العلم والحكمة.

ويمكن التعرف على هؤلاء الحكماء من خلال قراءة كتاب، أو مشاهدة حوار، أو استماع إلى محاضرة، فإن أعجبك عقل أحد هؤلاء الحكماء أو شخصيته، أو أفكاره، فحاول الاقتراب منه، وتعلم منه، وتابع أعماله، واقرأ كتبه، واستمع إلى كلامه، فقد اكتشفتَ كنزاً نادراً، ومصدراً ثميناً للتعلم تأخذ منه خلاصة المعرفة، وجواهر الحكمة، وثمين الآراء؛ لتبدأ من حيث انتهى.

ولكن الإعجاب بهؤلاء الحكماء، ومتابعة إنتاجهم، والاقتداء بأفعالهم لا يعني أن نسلم عقولنا لأفكارهم، ونؤيّد جميع آرائهم، بل نأخذها بثقة ومصداقية عالية لنعرضها على عقولنا قبل أن نؤيدها أو نرفضها؛ فمهما كان قدوتك رائعاً فإن رأيه يحتمل الخطأ. وكما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: «كلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر» يعني الرسول صلى الله عليه وسلم.

تعلم من الحيوان

يُضرب المثل بمكر الثعلب، ووفاء الكلب، وشجاعة الأسد، وفي قصة ابني آدم عليه السلام أن أحدهما قتل أخاه ولم يعرف ماذا يفعل بجثته، حتى رأى غراباً يدفن جسد غراب ميّت فتعلم منه، قال تعالى في قصتهما: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ المائدة: ٣١.

وتقوم بعض الشركات بدراسة تنظيمات النحل والنمل والطيور لتستفيد منها، وتقلدها في استراتيجياتها الدقيقة في بناء المساكن واختيار مواقعها، وطريقة تعاونها؛ وقد قامت إحدى الشركات العالمية بدراسة سلوك طائر في القطب المتجمد استطاع عبر الزمن المحافظة على نفسه من الانقراض في ظروف صعبة، فتحاول

تلك الشركة أن تتعلم الاستراتيجية التي اتبعها أجداد هذا الطائر للبقاء لتتبعها الشركة التي تطمح للبقاء أطول فترة ممكنة، فقد يتبع هذا الطائر طريقة معينة للحفاظ على طاقته، أو تخزين طعامه، أو تنافسه مع غيره من الكائنات.

ويُحكى أن حصاناً عجوزاً وقع في بئر جافة، ولما نظر إليه صاحبه المزارع أدرك أن إخراجه من البئر أمر شاقٌ جداً، وشبه مستحيل، كما أن الحصان عجوزٌ لا فائدة منه، ولم يعد قادراً على العمل في المزرعة؛ فقرّر المزارع أن يدفن البئر حتى يموت الحصان بسرعة، ولا يعاني كثيراً، كما أن البئر جافةٌ منذ زمن، وينبغي دفنها حتى لا يقع فيها إنسان أو دابة، فبدأ المزارع بدفن البئر، وأخذ يرمي التراب فوق الحصان في البئر، ولكن الحصان أخذ ينفض ما يقع على جسمه من تراب ليسقط عند قدميه، واستمر المزارع في الدفن واستمر الحصان في نفض التراب والصعود فوقه حتى امتلأت البئر بالتراب والحصان على قمته ليتمكن من الخروج منها سالماً، فاندهش المزارع مما جرى وتعلم دروساً عديدة، فما قد يُراد به الضرر، يُمكن أن يُنتج الفائدة إذا استُغِل بشكلٍ إيجابي.

تعلم من الجماد

إن شغف الإنسان بالتعلم يجعله باحثاً عن الحكمة؛ حتى عند الجمادات، فربما تكمن في إحداها حكمة يمكن تعلمها، أو فكرة يمكن تطويرها بعد تأمل في صفاتها أو تفكّر في عاداتها، وربما ألهمته بشكلها، أو أدهشته بخصائصها.

ويتأمل أصحاب العقول ما يرونه، ويتفكرون فيه، ويستنتجون منه، فتزيد معارفهم، وتتطـوّر عقولهم، ويقوى إيمـانهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ آل عمران: ١٩٠.

وربما تنبّه إنسانٌ لفكرة عظيمة، أو اكتشاف مذهل بسبب تأمّله في تلك الجمادات، فقد اكتشف إسحاق نيوتن الجاذبية الأرضية بسبب تفاحة سقطت على الأرض من شجرة كان يستظلّ بظلّها، وتفكّر

الشاعر الأمير خالد الفيصل في شموخ الشجر وكبريائه وهو يموت واقفاً، فكتب قصيدةً جميلة، وتعلم البعض مقابلة الإساءة بالإحسان من الشجرة المثمرة التي تُرمى بالحجر فتُسقط ناضج الثمر، وربما يلهمك صمود الجبال، وغزارة البحر، وكرم السحاب، وقسوة الشتاء، ففي كل شيء دروس وعبر، وأفكار يمكن تعلمها.

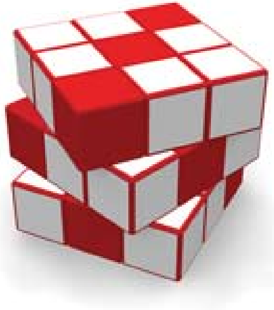

الفصل الرابع
استفد مما تتعلم

"العلم ما نفع، ليس العلم ما حفظ"

إنّ التعلم ليس غايةً في حدّ ذاته؛ ولكنّه وسيلة للتطوُّر والتقدُّم والنجاح، ومن لم يستفد من تعلمه فقد أضاع وقته وجهده وماله، قال الشافعي: «العلم ما نفع، ليس العلم ما حُفظ»، فلن تجني ثمرة التعلم إلا إذا انعكس ما تتعلمه على حياتك إيجابياً، وأثرت فيها فعلياً، وحولت أفكارك الجيّدة إلى مشاريع واقعية ملموسة، وإنجازات عملية محسوسة، تقودك نحو النجاح، ويتحقق هذا باستخدام مهارات التأثير والفعالية والنجاح التي نذكر بعضاً منها في هذا الفصل.

انظر إلى الامام

من البديهي أن نقول: إن التخطيط والتغيير إنّما يخصّان المستقبل، وأن الماضي لا يمكن التخطيط له ولا تغييره، ولا يملك الإنسان أي تحكّم به، ولكن هناك من يقضي جزءاً كبيراً من حياته مصارعاً لهموم الماضي متحسراً على ما فاته مهدراً طاقاته؛ في التفكير فيه، والحزن عليه، والتألم بمآسيه، متناسياً أن ما يستحق التفكير والتخطيط فعلاً هو المستقبل الذي لا تزال لدى الإنسان الفرصة في التأثير فيه والتحكّم به.

إن ما تتعلمه اليوم يجب أن يؤثر إيجابيّاً على مستقبلك، لا أن يجعلك تندم على ماضيك، فالحزن على الماضي لا يجدي نفعاً، ولا يغير شيئاً، بل إن له تأثيرات سلبية عديدة، فبالإضافة إلى أنه يسبب أمراضاً نفسية وجسدية، فهو يرهق العقل، ويعكر المزاج، ويربك

المنطق، حتى يشغل الإنسان عن التفكير فيما هو أهم وأجدى، فلا يتخذ قراراته بشكل سليم.

فانظر إلى الأمام لتؤثر في الحياة، ولا تنظر إلى الخلف إلا لتتعلم الدروس والعبر التي تفيدك في المستقبل، فإنما وُجد الماضي لنتعلم منه، والحاضر لنعيشه، والمستقبل لنخطط له، ولا يوجد وقت للحزن. فإذا أشغلت نفسك بالنظر ورائك، فلن تستطيع أن ترى ما هو أمامك.

■ ■ ■

حدد أهدافك

إن السفينة التي لا تعرف وجهتها لا يهمّها إذا كانت الرياح شمالية أم جنوبية، فكل الرياح غير مواتية بالنسبة لها كما يُقال، وسوف تسمح للرياح بالتلاعب بها كيفما تشاء، وكذلك الإنسان، فإن لم يعرف طريقه، ويحدّد أهدافه، فستكون جهوده عشوائية ووجهته مجهولة، وسوف يُضيع الكثير من الجهد والوقت والمال في السعي إلى مكان غير معلوم.

إنّ مسيرة النجاح تبدأ بتحديد أهداف واضحة بعد تفكير وتأمل، فيحدد الإنسان ماذا يريد بدقة، ومتى يريده، وكيف يصل إليه، ليبدأ العمل بجد على تحقيقه.

وينبغي كتابة الأهداف بوضوح أمام صاحبها لتتضح له، ويحميها من النسيان أو التغيير غير المبرر، لتتحول من أحلام عامة غير

واضحة إلى أهداف دقيقة محددة، فيتمكن من مراجعتها، والتفكير فيها، والتعديل عليها حسب ما يناسب التغيرات في مجريات حياته، فكتابتها تزيد فُرص تحقيقها بشكل كبير، وتمكنه من أن يقيّم أداءه، ويراجع إنجازاته ليتأكد من أنه لا يزال على الطريق المؤدّية إلى ما يريد.

ومما يميز الإنسان الناجح الفعّال أنه عالي الهمّة، كبير الطموح، فيضع أهدافاً عالية يتحدى بها نفسه، ويسعى إلى إنجازات كبيرة تحفزه على أن يخرج أفضل ما لديه، وقد قيل: «أن تسعى إلى الكمال وتقف قبله، خير من أن تسعى إلى عدم الكمال وتحققه». فيبذل أقصى ما لديه من جهود، ليصل إلى أفضل ما يمكنه الوصول إليه من نتائج، فيعطي نفسه الفرصة لإطلاق قدراته، وإبراز مواهبه عبر السعي نحو تحقيق أهداف كبيرة.

ويخطئ البعض في الاستغراق في الأهداف الصغيرة، والانشغال بها حتى ينسوا الغايات الكبرى التي من المفترض أن تؤدي إليها تلك الأهداف، وربما اختفت غاية رئيسة، وبقي الهدف الصغير الذي لم يَعُد يؤدي إليها، فقد نجد شخصاً مستغرقاً في القراءة دون أن يستفيد منها، ناسياً غايته من ورائها، وقد نجد من تمسك بالابتسامة

دون أن يُحسن خلقه، ويكسب الآخرين، وقد نجد من يتعلم بشغف دون أن يؤثر هذا في حياته بشكل ايجابي، فعلى الإنسان أن يُذكّر نفسه بغاياته الكبرى وأهدافه العليا بين الحين والآخر، وأن يجعلها نصب عينيه.

تحالف مع الوقت

إن عجلة الوقت تجري بشكل مستمر، وبكل إصرار وثبات، فهي لا تنتظر أحداً، ولا تقدّر ظروف أحد، ولا تتعاطف مع أحد، ولا أكاد أعرف شيئاً أكثر جداً وانضباطاً من عجلة الوقت، فكل لحظة تمرُّ على الإنسان تختفي بلا رجعة، فلا يكاد ينتبه لعمره وهو يجري إلى منتهاه دون إنجازات تصل إلى مستوى طموحه.

وينبغي على الإنسان أن يستغل سرعة دوران عجلة الوقت، ويستفيد منه بأن يجعلها تجري لصالحه إن استطاع، فيتحالف معها لتجري به بنفس سرعتها على الأقل، فهي بجدّها وعزيمتها ونشاطها جديرة بأن يعتمد الإنسان عليها، ويتّحد معها، فهي لا تنسى ولا تتهاون، وإذا أوكَلتَ إليها أمراً أخذَته بشدّةٍ وحزم، وإذا تصافحت يدك مع يدها فإنها لا تُنزِع حتى تُنزِع أنت.

ويكون ذلك التحالف بأن يجعل الإنسان أهدافه وخططه مرتبطة بالوقت ارتباطاً وثيقاً محددة به، مثل أن ينخرط في برنامج دراسي محدد الزمن، أو أن يربط برنامج التوفير والادخار المالي لديه بالوقت، بحيث يدّخر مبلغاً محدّداً بشكل دوريّ، أو أن يلتزم بعمل محدّد يومي، أو أسبوعي، أو شهري؛ ليكون جريان الوقت عبارة عن تقدّم وتطوّر له، فكلما جرت عجلة الوقت أكثر كلما زاد علم الإنسان، وزاد ادخاره، واكتسب مع الوقت ما يريد اكتسابه، وربما وصل إلى مرحلة يستعجل فيها دوران عجلة الوقت تشوقاً لإنجاز مشاريعه وتحقيق نجاحاته.

افعله الآن

يتميَّز الناجحون بالمبادرة، والتنفيذ، وعدم المماطلة والتأجيل، وكم من فكرة ثمينة قتلها صاحبها بتردّده وسلبيّته، فبقيت أفكاره في ذهنه يستمتع فقط بالتفكير فيها، والحديث عنها، فعلى الإنسان إن تبيَّنت له جدوى تنفيذ إحدى أفكاره أن يبادر بتنفيذها، وتحويلها إلى واقع بعد أن يعطيها حقّها من التفكير والاستشارة والاستخارة، فإذا عزم على فعلها ينتهي وقت التفكير؛ ليبدأ التنفيذ متوكلاً على الله، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ١٥٩.

أمّا الآفة الكبرى التي قد تواجه الإنسان في حياته وتعيقه عن الاستفادة مما يتعلمه، وتطوير نفسه، والارتقاء بحياته فهي آفة التأجيل والتسويف، فيعاني المدمن عليها من كثرة تأجيل تنفيذ مهامه إلى أجل

غير مسمى، فإذا نوى فعل أمر ما فإنّه يَعِدُ نفسَه بتنفيذه لاحقاً، فيقتل حماسه، ويُضعف همّته، ويُؤخّر إنجازاته، ويقود حياته إلى الفشل.

ويمكن التخلّص من تلك العادة السيئة بقدرٍ من الإرادة والهمّة والإصرار والتنظيم. يتحدّث المؤلف كيري جلايسون في كتابه «برنامج الكفاءة الشخصية» عن مبدأ أسماه: «افعله الآن» وهو مبدأ بسيط وفعّال، يصرّ على تنفيذ أي بند فور لمسه، أو قراءته، أو تذكّره، فهو يحوّل يدك إلى عصا سحرية تنفّذ كل ما تلمسه؛ فبمجرد أن تمسك، أو تقرأ شيئاً يجب عليك فعله الآن، فإنّك لا تتجاوزه حتى تفعله، فإذا أخذت ورقة تستدعي إجراء اتصال ما مثلاً فلا تنزل الورقة من يدك إلا بعد أن تبدأ بالاتصال الآن.

مبدأ بسيط، ولكنّ فائدته عظيمة، فهو يساعد على عدم إضاعة اليوم في أشياء لن تفعلها، ويقود حياتك إلى التقدم يوماً بعد يوم.

أوقد شمعة

من أروع الحِكَم التي عرفتُها قول كونفوشيوس: «بدل أن تلعن الظلام، أوقد شمعة». فهذه الحكمة العظيمة تشكل مثالاً رائعاً للإيجابية والمبادرة والفعالية، فهي تدعو الإنسان إلى أن يفعل شيئاً إيجابياً، ويخطو خطوةً نحو الأمام، بدلاً من أن يكتفي بالتذمر والانتقاد السلبي، فيوقد شمعةً بدلاً من أن يلعن الظلام، والظلام هنا هو أي وضع غير مرغوب فيه في الحياة، والشمعة هي أي محاولة لتصحيح الوضع.

وربما لن تقضي شمعتك الصغيرة على كل الظلام، ولكنها بلا شك ستؤثر تأثيراً حقيقياً، وإن كان بسيطاً، وسوف تُنير الجزء المحيط بك على الأقل، لتكون كالمصباح الذي لا يعرف الظلام، قال الرافعي: «ليس لمصباح الطريق أن يقول: "إن الطريق مظلم"، إنما قوله إذا أراد كلاماً أن يقول: "ها أنذا مضيء"».

إن حجم الشموع التي يستطيع ايقادها البشر متفاوت، فكلٌ شمعته على قدر قدرته على التأثير، فهناك من يوقد شمعةً ضخمة تنير الدنيا، وآخرون يوقدون شموعاً صغيرة تشكل باجتماعاً نوراً هائلاً.

ويُنقص أكثر الناس من تقديراتهم لأنفسهم، وتوقعاتهم لمدى تأثيرهم وقوته، فهم يعتقدون خطأ أنهم لا يستطيعون فعل شيء، ولا التأثير بشيء، وهذا الاعتقاد بحد ذاته هو سبب ضعفهم وسلبيتهم، وقلة حيلتهم، قال هنري فورد: « إذا كنت تعتقد أنك تستطيع، أو كنت تعتقد أنك لا تستطيع، فأنت على حق في الحالتين».

والتذمر لا يعطلك عن فعل ما ينبغي عليك فعله فقط، ولكنه يشلّ تفكيرك، ويحطّم تفاؤلك، ويقتل آمالك، فعلى الإنسان أن يتوقف عن التذمر وندب الحظ، وأن يفعل شيئاً مفيداً بدلاً من ذلك، مهما كان ما يستطيع فعله بسيطاً، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾البقرة: ٢٨٦

إنّ الحياة لا تتغير بفعل إنسان واحد، ولكنّها تتأثر بأفعال الملايين من البشر كل منهم قام بدوره البسيط غالباً بفعل شيء ما في

الاتجاه الصحيح، وعليك أن تقوم بدورك في ذلك، فلا تستهن بتأثيرك في الحياة، وابذل جهدك حسب استطاعتك لتقوم بواجبك.

تفاءل

زار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أعرابيًا مريضاً فقال: «طهور إن شاء الله». ولكن ذلك الأعرابي لم يقبل تلك الدعوة، وقال: قلتَ طهور! كلا، بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تُزيرهُ القبور. فقال صلى الله عليه وسلم: «فَنَعَم إذاً» رواه البخاري، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان إيجابياً متفائلاً، ولكن هذا الأعرابي لم يقبل تلك الإيجابية، لأنه لم يرَ سبباً لها، فهو مريض، وغير متفائل، فقال النبي: «فَنَعَم إذاً». وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول: هو كما تقول، إن قلت خيراً صار خيراً، وإن قلت شراً صار شراً. فتفاءل بالخير تجده أمامك.

وهذا ما يُقرّه أيضاً «قانون الجذب» الذي يقول بأن عقلك يجذب ما تفكّر به ليصبح واقعاً، كما أن التفاؤل يعطيك طاقة إضافية لفعل المزيد، ويجعلك أكثر حماساً وإصراراً لتحقيق ما تصبو إليه، أما السلبية فإنها تنهك قواك، وتحطم طموحك، وتنفد صبرك.

ويساعد التفاؤل الإنسان على أن يكون أكثر حكمة، وقدرة على اتخاذ قرارات سليمة؛ فيوفّر له نفسيّة خالية من الضغوط، ويحث عقله على التفكير والإبداع بشكل أفضل، فهو بتفاؤله يعلم أنه سيحل مشاكله، ويتجاوز عقباته، ويحقق أهدافه، لذا فهو يبحث عن الحلول التي يعلم أنه سيصل إليها، فيكون أكثر إصراراً وحماساً لأن يحل مشاكله.

فانظر إلى المستقبل بتفاؤل وأمل، وتوقع الخير دائماً، وقد ورد في الأثر: «تفاءلوا بالخير تجدوه».

أوصل أفكارك

مما تتطلبه الفعالية والتأثير في الحياة أن يوصل الإنسان أفكاره للآخرين، ويقنعهم بها لتؤثر في الواقع، ففي كثير من الأحيان لا يستطيع الإنسان تحقيق مشاريعه بمفرده، فيحتاج إلى مهارات اتصال وإقناع عالية ليوصل أفكاره إلى الآخرين.

يُقال بأن اللسان مغراف القلب، وكم من مُبدع قُتلت أفكاره الرائعة؛ لعجز لسانه عن الشرح والإقناع، ولا يمكن معرفة ما بداخل الإنسان بمجرد النظر إليه، قال زهير بن أبي سلمى:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده

فلم يبقَ إلا صورة اللحمِ والدمِ

وعندما أستمع إلى أحد الموظفين يشكو العوائق التي يواجهها في تنفيذ أفكاره القيّمة في العمل، ومشاريعه الواضحة الجدوى، فإن

أول ما يخطر في بالي هو احتمالية أن يكون هذا الموظف هو نفسه السبب في عدم تنفيذ مشاريعه أو فشلها؛ لأنه ربما لم يستطع إقناع الآخرين بها ليدعموه ويتعاونوا معه.

فيجب على الإنسان أن يطوّر مهارات الاتصال والإقناع لديه، ويسعى جاهداً لدعم أفكاره ومشاريعه، وأن لا يتوقع أن يقتنع الجميع بجدواها تلقائياً، فلا بد أن يدعمها هو أولاً ليساعده الآخرون.

■ ■ ■

حاول مجددا

يتمتّع الناجحون بقدر كبير من الصبر والإصرار والمثابرة، ويترفعون عن اليأس والانهزام والاستسلام، فيتجاوزون عثراتهم بسرعة ليحاولوا مجدّداً، ويتعلمون من أخطائهم وتجاربهم الفاشلة، ويثابرون من أجل تحقيق أهدافهم.

ولكن الإصرار الفعّال لا يعني الإصرار على فعل الخطأ وتكراره، ولكنّه العزم على المحاولة مرة أخرى بطريقة أفضل، وقد قال أديسون -الذي مرّ بمئات المحاولات الفاشلة قبل أن يخترع المصباح الكهربائي الذي أنار العالم-: «كل محاولة فاشلة لتحقيق الهدف هي خطوة إلى الأمام».

كلّنا يعرف العديد من الناجحين الذين قادهم إصرارهم ومثابرتهم إلى النجاح؛ ليصبحوا من المؤثرين في الحياة المعروفين لدى

الجميع، ولكني أؤكد لك أن هناك الملايين من المميزين والموهوبين الذين استسلموا ويأسوا وتوقفوا عن المحاولة؛ ولذلك لا تعرفهم أنت، ولا أعرفهم أنا، ولم يسمع بهم أحد. من يستسلم لا يصل إلى شيء ولا يعرف بوجوده أحد.

نافس نفسك

مما يقوّي عزيمة الإنسان، ويُعلي همته، ويدعم صبره ومثابرته، أن يسعى لتحقيق أهدافه في بيئة تنافسية، فالتنافس من أقوى عوامل التحفيز على العمل والإنجاز والإبداع، فهو يضع الإنسان أمام هدف محدّد يسعى لتحقيقه بقوّة وجدّ، ويخلق روح التحدّي، ويزيد الإصرار والحماس.

فيَحسُن بالإنسان الساعي إلى النجاح أن يصنع منافسات خاصة به في الأمور التي يريد الإبداع فيها، حتى وإن كانت تلك المنافسات في خياله فقط، وإن لم يعلم عنها الخصم شيئاً، على أن لا يترتب على تلك المنافسة أي شعور سلبي تجاه الخصم، فهي منافسة شريفة تماماً هدفها هو التحفيز للإبداع فقط.

ويتضّح تأثير المنافسة في مجال الرياضة، فتجد الكثير من اللاعبين والفِرق يتفوّقون داخل دولهم، أو مناطقهم، في ظلّ منافسات محدودة، وعندما يخرجون يجدون أوضاعاً مختلفةً، وبيئات تنافسية أصعب، فقد كانوا في الداخل يتنافسون في مستوى معين، ولا يبذلون جهوداً إضافية، ولو وَضعوا أنفسهم في منافسة مع مَن هم أفضل منهم في الخارج لارتفع مستواهم، وتطوّر أداؤهم، ووجدوا ما يحفّزهم للإبداع بشكل أكبر.

وأعلى درجات المنافسة تكون مع النفس، فلا ينتظر الإنسان تفوق الآخرين عليه ليحفزه على الإبداع، وبالذات عندما يتربع على قمّةٍ ما، أو لم يجد من ينافسه، فينافس نفسه بنفسه، وهذا ما تفعله الشركات الرائدة المسيطرة على السوق، فهي إن لم تجد منافساً تتنافس معه فإنها لا تنتظره، بل تُنافس نفسها وتتطوّر باستمرار حتى يصعب على المنافسين المحتملين اللّحاق بها.

■ ■ ■

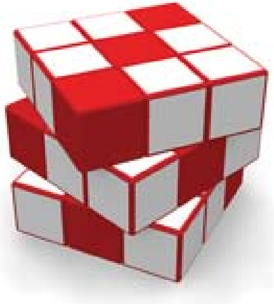

وختاماً

شغف التعلم .. سر النجاح

إن شغف التعلم الفعّال هو ما يقود الإنسان إلى أن يتعلم ما يفيده ويستفيد مما يتعلمه، فيأخذ بزمام حياته، ويتحمّل مسؤوليتها، ويتعلم ويفكّر، ويخطط وينفذ، ويسعى بجدّ وإصرار ومثابرة لينطلق نحو النجاح، فالإنسان وحده المسؤول عن اتخاذ قراراته، وتطوير ذاته، وتحديد طموحاته، وتحقيق نجاحاته، واختيار طريقة تفكيره وفهمه للأمور وتعامله معها.

ورغم أنه لا يمكن حصر كافة أفكار التعلم ووسائله ومصادره في كتاب، إلا أني آمل أن يساعد هذا الكتاب القارئ في أن يُسلّح نفسه بشغف التعلم، ويجعله جزءاً من شخصيته؛ ليفتح الباب لنفسه للإبداع والتطور والتقدم، فبشغف التعلم يزداد فهمه للحياة، ويتطوّر يوماً بعد يوم ليحقّق النجاح بإذن الله.

يسرني أن أتلقّى آراءك، وملاحظاتك الصريحة حول ما ورد في هذا الكتاب، وسأكون سعيداً باستقبالها، والاهتمام بها، والرد عليها بكل امتنان.

مع تمنياتي لك بالتوفيق والنجاح..

عمر بن سليمان العريفي

بريد إلكتروني:

omar@omaralarifi.com

موقع إلكتروني:

www.omaralarifi.com

العنوان البريدي:

ص. ب: ١٠١١٠٤ جدة، الرمز البريدي: ٢١٣١١

المملكة العربية السعودية

الفهرس

مقدمة	٥	تعلم من تجاربك	٧٣
الفصل الأول: الحياة والتعلم	٩	تعلم من تجارب الآخرين	٧٥
الإنسان والتعلم	١١	تعلم من الجلساء	٧٩
النجاح والتعلم	١٥	تعلم من الأعداء	٨٣
العقل والتعلم	١٩	تعلم من الحكماء	٨٧
الثقافة والتعلم	٢٥	تعلم من الحيوان	٨٩
الوقت والتعلم	٣١	تعلم من الجماد	٩١
الفصل الثاني: تعلم ما يفيدك	٣٣	**الفصل الرابع: استفد مما تتعلم**	٩٣
رتب أولوياتك	٣٥	انظر إلى الأمام	٩٥
فن الاستنباط	٣٩	حدد أهدافك	٩٧
فن السؤال	٤١	تحالف مع الوقت	١٠١
فن الإنصات	٤٥	افعله الآن	١٠٣
فن الاختلاف	٤٩	أوقد شمعة	١٠٥
استفد من النقد	٥٥	تفاعل	١٠٩
دقق قبل أن تصدق	٥٩	أوصل أفكارك	١١١
احكم بعقلك	٦٣	حاول مجدداً	١١٣
الفصل الثالث: تعلم من كل شيء	٦٧	نافس نفسك	١١٥
تعلم من الكتاب	٦٩	وختاماً......................	١١٧

شغف التعلم .. سر النجاح

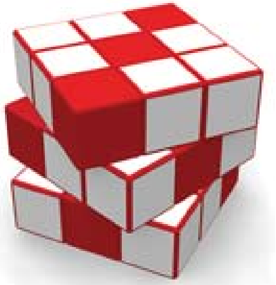

إن شغف الإنسان بالتعلم أمر فطري يبدأ به كافة البشر حياتهم ليتجاوزوا به جهل الطفولة وعجزها، ثم يزداد هذا الشغف عند البعض ويضعُف عند آخرين، فمن ضعُف شغفه بالتعلم أوقف تعلمه، وأنهى تطوّره، واكتفى بالكسل، ورضي بالفشل، ومن زاد شغفه بالتعلم طوّر عقله، وعمّق ثقافته، وصقل مواهبه، وتجاوز نقاط ضعفه، ودعّم مراكز قوته، وشق طريق نجاحه.

يساعدك هذا الكتاب على :

- تطوير فكـــرك
- تعميق ثقافتك
- صقل مواهبـــك
- تقوية تأثيـــرك
- زيادة فعاليتـــك

لتكون شغوفا بتعلم ما يفيدك .. حريصا على الاستفادة مما تتعلم وتشق طريقك نحو النجاح

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٦٣١٠-٩

عمر بن سليمان العريفي